ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام في إفريقيا

المؤتمر الدولي

الإسلام في إفريقيا

27-26 نوفمبر 2006

7-6 ذو القعدة 1427 هـ

14

أوراق المؤتمر : الكتاب الحادي عشر



جامعة إفريقيا العالمية



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

ليبيا



وزارة الإرشاد والأوقاف

إنتشار الدعوة الإسلامية في جزر القمر

إمباي طاهر يوسف سيد
مركز البحوث والدراسات الإفريقية
جامعة إفريقية العالمية بالخرطوم

تمهيد:

تهدف هذه الدراسة إلى القاء الضوء على انتشار الدعوة الإسلامية في جزر القمر المتحدة (جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية) سابقاً ، والتي احتلت موقعاً هاماً لمرور طرق التجارة عبر أراضيها .

وقد هيأ الموقع لجزر القمر في قلب المحيط الهندي وعلى مسار التجارة بين الشرق وكل من العرب والغرب ، أن تلعب دوراً هاماً جداً في تاريخ منطقة المحيط الهندي ، إذ صارت نقطة ارتكاز لتحرك العديد من القوى في هذه المنطقة، بدءاً من المسلمين ومروراً بالبرتغاليين حتى الفرنسيين(1).

وترجع تسمية جزر القمر بهذا الاسم إلى عدة احتمالات ، أهمها ، أنّ العرب هم أول من أطلق اسم جزر القمر على هذا الأرخبيل نظراً لارتفاعها الشديد عن سطح البحر وظهور " القمر " فيها ، ثم حرف الاسم بعد ذلك عن طريق الفرنسيين إلى كلمة كومور COMORES . أما العرب الذين قاموا بزيارة لهذه الجزر قالوا عنها " أنها قمر لكثرة النور بها لأن القمر كان بدراً يوم إكتشافهم هذه الجزر " . وقال البعض أنها المنطقة الوحيدة من أفريقيا التي يكون بريق القمر فيها ذا جمال أخاذ (2).

وهناك من يقول جزر القُمْر بضم القاف وسكون الميم وهو ما جاء في معجم ياقوت الحمري حيث ذكر بأنّ (طائر القُمر) موجودة بكثرة في الجزر و(القمر) بضم القاف وسكون الميم جمع أقمر ، وهو الأبيض الشديد أي البياض ومنه سمي (القمري) من الطير و (قمر) بلد بمصر والقمر أيضاً جزيرة وسط بحر الزنج وليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها.

الأصل لتسمية اسم جزر القمر: (3)

هناك ثلاث ظواهر طبيعية تؤكد تسمية جزر القمر إلى القمر وهي:

أ/أن شكل جزيرة القمر الكبرى التي تعد واجهة للدولة باعتبارها العاصمة السياسية هو على هيئة شكل هلالي ، وهذا ما يجعل بعض الدارسين يرى أن جزر القمر قد وزعت على شكل وجوه القمر الرئيسية.

ب/إن القمر يشكل ظاهرة طبيعية لافتة للنظر في جزر القمر حيب يبدو للرائي أكثر قرباً ووضوحاً.

ج/إن جمال جزر القمر الطبيعي وبعدها الجغرافي عن العالم العربي ، جعلها مجالاً للتشبيه بالقمر للتعبير عن دلالة الجمال والبعد ، حيث كان القمر في الذاكرة العربية رمزاً للدلالة على البعدين الجمالي والجغرافي معاً ، فكان يقال في تشبيهه بالجمال : (إنه كالقمر) وفي تشبيه بالعلو والبعد (أبعد من القمر) ومن هذا المصدر الطبيعي ذهب البعض إلى القول بأن العرب هم الذين اكتشفوا جزر القمر (بفتح القاف) سموها بهذا الاسم ، لأنهم لما نزلوا بها كان القمر عليها مضيئاً جداً. كما نجد في التراث الشعري القمري تأكيداً لهذه الحقيقة ، حيث نج الشاعر عامر بن سالم بن نوح يشبه المرأة الجميلة بالبدر في قوله:

فقالت فتاة يخجل البدر حسنها وقالت أنا المقصود من بين أخذاني

المصدر الرسمي

الاسم الرسمي لجزر القمر هو (جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية) فنجد أن النطق الرسمي لا يكتفي بفتح القاف والميم فقط بل إنه يعمد إلى تشكيلها دفعاً لكل التباس ، ومما يزيد في تأكيد هذا أن العلم الوطني للدولة يتكون من هلال في وسطه أربع نجمات ، ويعني هذا أن اسمها (قَمَرْ) الذي يرمز إليه الهلال وليس (قُمْر) المأخوذ من الطير كما زعم بعضهم.

لم يكن النطق الرسمي (جزر القَمَر) بفتح القاف والميم موقفاً سياسياً لاعتبارات جمالية أو جغرافية ، وإنما كان اعترافاً بالاختيار الأصيل الذي احتفظت به الذاكرة الشعبية القمرية التي تصر في مختلف المناسبات على نطقها (قَمَر) بالفتح.

كما أكد علماء جزر القمر أن الذاكرة الشعبية القمرية لا تحتفظ في تأريخها المكتوب ورواياتها الشفوية إلا باسم -جزر القمر) بالفتح.

تقع في قلب المحيط الهندي جزر مسلمة عزلاء ، تكسوها بساتين خضراء من الأشجار المثمرة . إنّها الجزر التي سماها البعض (جنة الله فوق الأرض) أو (هاواي العرب) وسماها آخرون (كمور) وسماها العرب لسحر طبيعتها وتوهج لياليها المقمرة (جزر القمر) بفتح القاف والميم والتي تحمل على مستوى الرسمي اسم (جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية) منذ استقلالها عام 1975م.

أنها (أندلس القرن الافريقي) وعروس المحيط الهندي التي تختزن ذاكرتها تراثاً إسلامياً مشعاً لم تستطع عواصف الزمان وتحديات الاستعمار التي دامت قرابة مائة وخمسين عاماً أن تطمس نوره حتـــى حصلت على استقلالها عام 1975م من فرنسا.

ويتسم شعبها بقيم العروبة الأصيلة المتمثلة في كرمه ووداعته وتعاونه وتدينه ، مما جعلها تنعم بسلام اجتماعي نادر على الرغم من الأحداث السياسية التي مرت بها الجزر من استقلالها من الانقلابات العسكرية والتدخل الواضح في شئونها الداخلية والخارجية من الدول الاستعمارية وخاصة فرنسا على وجه الخصوص والتي لم تزد شعبها إلا تماسكاً ووئاماً.

الموقع الجغرافي لدولة جزر القمر

(أ)الموقع

تقع جزر القمر في منطقة بالغة الأهمية ذات موقع استراتيجي هام في المحيط الهندي ، في نقطة الوسط من المدخل الشمالي لقناة موزمبيق ما بين 21.11 و 4.13 غرب وجنوب خط الاستواء ، وبين 13.43 و 18.45 طولاً وعلى مسافة متوازنة من تنزانيا وموزمبيق على ساحل شرق افريقيا ، وفي جنوب خط الاستواء شرق خط جرينيتش وغرب المحيط الهندي قرب الساحل الأفريقي بحوالي 250 ميلاً.

يفصل البحر بينها وبين جزيرة مدغشقر بمسافة تقرب 270 كم2 من الطرف الشمالي.

وأرخبيل جزر القمر يرتفع وسط قناة موزمبيق بعلو 3500 متر فوق القاع مشرئباً فوق مياه البحر ومتوسطاً المسافة بين جزيرة مدغشقر والساحل الأفريقي الشرقي الذي يبعد كل منهما 300 كيلومتر في كل اتجاه.

وجزر القمر عبارة عن مجموعة ذات مساحة محدودة ، تتكون من أربع جزر صغيرة متحدة تضم عدداً ضخماً من الجزر والشعاب المرجانية وتبلغ مساحتها 2236كم2 موزعة على النحو التالي:

الاسم باللغة العربية	باللغة القمرية	باللغة الفرنسية	المساحة
1/جزيرة القمر الكبرى	انجازيدجا	Grade Comores	1148سم2
2/جزيرة انجوان	انزواني	Anjoun	424 كم2
3/جزيرة مايوت	ماورى	Mayotte	373كم2
4/جزيرة موهيلي	موالي	Mwali	290كم2

(ب)النمو السكاني:

يبلغ معدل النمو السكاني لجزر القمر من 2.8% إلى 3.1% وارتفع هذا المعدل إلى 3.6% لعودة من المهاجرين إلى مدغشقر وفي سنة 1991م كان المعدل الثانوي للنمو السكاني حوالي 3.7% وفــي عام 2000 بلغ معدل النمو 3.8%.

أما تقيرات إعداد السكان المعاصرة فهي متفاوتة من مصدر لآخر ، وقدر (الخولي) عدد سكان جزر القمر في عام 1965 بما يصل إلى 244.250 نسمة ، وفي عام 1975م بحوالي 300.000 نسمة ، كما قدر أن عدد السكان الذين ينتمون لأصول من جزر القمر وهاجروا إلى خارجها يصل إلى أكثر من 700.000 نسمة(4).

وفي عام 1989م قدر عدد السكان بحوالي 444.5 ألف نسمة.

وفي عام 1991م قدر عدد السكان بحوالي 500.000 الف نسمة (5)

وفي عام 1992م قدر عدد السكان بحوالي 600.000 الف نسمة (6)

وفي عام 2000م قدر عدد السكان بحوالي 800.000 الف نسمة (7)

وفي عام 2002 قدر عدد السكان 900.000 الف نسمة (8)

وسكان الجزر متعدد الأصول العرقية ، ولكن يجمعهم تماثل كبير ووحدة دينية ولغوية وثقافية ويقييم ما لا يقل عن 25% من أهالي البلاد في فرنسا ومدغشقر وزنزبيار وبعض بلدانٌ شرق افريقيا والجزر المحيط الهندي مثل موريشيص ولارينيون والتركيب العرقي للسكان عبارة عن 1.1% من مختلف الجنسيات و0.4% من فرنسا ، و1.6% من بانتو وماكوا من شرق افريقيا و96.9% خليط من البانتو العرب ومالايوا(9).

ويرجع تعرف تلك الجزر إلى الإسلام بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) بوقت قصير (حوالي عام 632م) ، وذلك من خلال وفود هجرات عربية وفارسية عرفت بالهجرة الشيرازية ، اختلطت مع السكان الأفارقة على ساحل شرق إفريقيا ، ومن ثم هاجرت إلى الجزر ، واستقروا فيها ليستقر معهم بالتبعية دين الإسلام ، وتوجد حتى الآن في الجزر مقابر أولئك الأمراء الشيرازيين(10).

في الوقت الذي توغلت فيه الجيوش العربية في أفريقيا الشمالية ، أخذت جماعات أخرى من العرب تطرق الساحل الافريقي الشرقي ، وكانت هجرتهم هذه على ضآلتها إمتداداً لصلة عربية بين الساحلين ، وكان الجانب الشرقي للقارة الإفريقية على صلة وثيقة بالأرض التي ترعرع فيها الإسلام . ورغم أن أول هجرة إسلامية كانت إلى الحبشة التي يربطها بجزيرة العرب كثير من وسائج الود، والعلائق الاقتصادية ، إلا أن توغل الإسلام في الساحل الشرقي للقارة الافريقية كان بطيئاً ، وإن غلب عليه السلم.

وبانتشار نفوذ الإسلام كثرت أفواج الوافدين من العرب للساحل الافريقي لا إلى التجارة فحسب ، بل للإقامة ونتيجة لهذه الهجرة انتظم الساحل الافريقي عدد من المدن الإسلامية كانت تعني بالتجارة أساساً . وتراوحت هذه الفئات الوافدة بالوطنيين وإمتزجت بهم ، وعنهم أخذ الهجين الجديد الدين الإسلامي وبعض مظاهر الثقافة العربية.

وربما كان أول من هاجر إلى تلك المنطقة جماعة من الشيعة عرفت بالزيدية وفدت في أواسط القرن الثامن ، هروباً بمعتقداتها من بطش الأمويين ، وقد ظلت هذه الفئة ككثير من المسلمين الذين هاجروا إلى شرق افريقيا مغلقة على نفسها ، دون أن تدعوا إلى الدين الإسلامي بين الوطنيين.

وعلى عهد الشيرازيين إزدهرت مدينه كلوه ، وتوطدت صلتها بزنجبار واستطاع الشيرازيون أن يحتفظوا بمركز مستقل غير خاضع لأسلافهم المقيمين في منطقة مقديشو .

وتتابعت هجرات العرب إلى الساحل الافريقي ، مما أدى إلى نشأة عدد من المدن التجارية ، مثل كلوه ومقديشو وموصوع و (جزيرة دهلك) وومباسا وباضع ولامووا وسواكن وجميع هذه المدن انتشار بين موزمبيق في الجنوب وعيذاب في الشمال وازدهرت قبل أواسط القرن الثالث عشر.

ومع أن المدن والجزر ، خاصة الجنوبية منها ، كانت زاهرة بالنشاط الإسلامي من حيث إقامة الشعائر الإسلامية ، إلا أن نشر العقيدة الإسلامية لم يكن فيها يبدو جزء من نشاطها الرئيسي ، فكان جل إهتمامها موجهاً للتجارة وما يتبعها من منافسة في المقام الأول ، وكانت نظرتها العامة تتجه نحو المحيط وما وراءه من أوجه النشاط التجاري وقد أدى النشاط التجاري العربي الإسلامي الذي تمركز في الساحل ، وامتد منذ منتصف القرن الثاني عشر حتى أواخر القرن الخامس عشر ، أدى إلى إزدهار ثقافة عربية إسلامية تعرف بالحضارة الشيرازية ، ولكن مجيء البرتغاليين في آخر القرن الخامس عشر ، وبسط نفوذهم على مواقع هامة في ذلك الساحل ، واحتكارهم للتجارة الشرقية في المحيط الهندي ، سلب المجموعات العربية أساس إزدهارها التجاري وظل الحال هكذا نحو قرنين ، تمكن بعدها العرب من طرد البرتغالين وبداية صفحة جديدة من السيطرة العربية.

أما جزر القمر التي تقع شمال غربي مدغشقر فيقدر عـــدد المسلمين فيها 99% من أهل السنة وعلى المذهب الشافعي (11) وقبل بلغت نسبة المسلمين أكثر من 98% من مجموعة السكان ، والبقية مسيحيون من أصل فرنسي يرتكزون في جزيرة مايوت القمرية غير المستقلة وكذلك عدد قليل من أصول مدغشقر ، وقد نزل العرب في هذه الجزر في القرن العاشر الميلادي ، واختلطوا مع الأهالي المسلمين بمذهبهم الشافعي ولغتهم القمرية ، وقد اعتنقوا الإسلام منذ القرن العاشر الميلادي ، وقد غزاهم أمراء كلوه في القرن الحادي عشر الميلادي واستولوا على بلادهم ، حتى جاء الاستعمار البرتغالي في أوائل القرن السادس عشر , ولم يلبث الأهالي أن ثاروا على البرتغاليين . وهم شديدو التمسك بالإسلام وتنتشر هناك الطرق الصوفية لاسيما القادرية والشاذلية والرفاعية.

والمؤرخون لا يزالون يتحدثون عن حسن تمسك أهل هذه الجزر بالإسلام تمسكاً شديداً ، وعن كثرة المساجد ، ويشيرون إلى انتشار الكتاتيب والمدارس التي تعلم الدين الإسلامي ، وبها تصدر الأوامر السلطانية وأحكام القضاة ، أما عادات الأهالي في الزواج والختان والولادة والوفاة وفي الاحتفال بالأعياد الإسلامية وبصوم رمضان وبليلة القدر وبليلة الأسراء والمعراج وغيرها من المناسبات الإسلامية لا تبعد عن العادات والتقاليد التي يتبعها المسلمون في بلدان العالم الإسلامي الأخرى.

مما يدل على مدى عمق العقيدة الإسلامية في نفوس الناس في الأرخبيل القمري وعلى مدى الجهد الكبير الذي بذله الدعاة القمرين وغيرهم من العرب في نشر الإسلام في هذه الجزر خاصة وفي المنطقة بأكملها.

وقد نشر المسعودي في كتابه (مروج الذهب)(12) أن جزيرة أنجوان أو قنبالو قد فتحت عام 824م ، على أيدي عرب الأزد من الإباضيين العمانيين ، وهناك أقوال تنكر أن ذلك الفتح قد تم في عام 132هـ (750م) وإن كانت المصادر الأوربية تحاول أن تقلل من البعد الزمني للإنتشار الإسلامي في تلك البقاع ، ومن ثم نجدهم يذكرون أن تأريخ الفتح العربي الإسلامي لهذه الجزيرة غير معلوم.

وقد أورد المؤرخ دي بلانتيه (13) وصفاً لأهالي جزر القمر بصفة عامة ، وأزيائهم ، وهو ما يتضح منه الأثر العماني أو اليمني إذ قال : إنهم يحملون في أوساطهم خناجر معقوفه وذات قبضات من ذهب وفضة ، أما النساء فيلبسن الحرير صافياً ، ويجعلن على أكتافهن ورؤسهن منديلاً من الحرير ويرخين نقاباً مزركشاً مفتوحاً عند العينين ، ولا يخرجن إلى الشارع إلا وهن متنقبات.

وقد هيأ الموع لجزر القمر في قلب المحيط الهندي وعلى مسار التجارة بين الشرق وكل من العرب والغرب ، أن تلعب ورا هاماً جداً في تأريخ منطقة المحيط الهندي ، إذ صارت نقطة ارتكاز لتحرك العديد من القوى في هذه المنطقة ، بدءاً من المسلمين ومروراً بالبرتغاليين حتى الفرنسيين(14).

دخول الإسلام في جزر القمر:

شرف الله – جل وعلا – الساحل الشرقي الأفريقي الذي كان له علاقة الوثيقة القديمة مع الجزيرة العربية ، بأن يكون موطن الإسلام الثاني ، حيث خصه الله سبحانه وتعالى . بمنطقة استقبال أول وفد أرسله رسوله عليه الصلاة والسلام خارج الجزيرة وهو وفد إلى النجاشي ملك الحبشة في السنة الخامسة مـن البعثة (614) عندما اشتدت عداوة قريش له ولأتباعه ، وقد أذن عليه السلام في العام نفسه ، بعد عودة هذا الوفد إلى مكة ، للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى لما اطمأن عليه الصلاة والسلام على مستقبل المسلمين بها وموقف السلطة الحاكمة منهم ، وترحيب السكان الأفارقة بهم.

ومن هذا المنطق ، أخذت هذه العلاقات الودية بين العرب وساحل شرق أفريقيا والجزر المقابلة له عامة والحبشة خاصة تتطور ، وجزر تزداد رسوخاً وعمقاً ، مع مرور الأيام ، فتوالى توافد المسلمين إلى هذه المنطقة من أجل التجارة تارة والاستقرار تارة أخرى ، وساعدهم على ذلك بروز الصراعات المذهبية والخلافة السياسية ، والتي كانت سائدة في الجزيرة العربية بين شرق افريقيا وجنوب الجزيرة ، نتيجة للجوار والمعرفة الجيدة بالبحر وطرق الملاحة.

فارتبط بذلك تأريخ دخول الإسلام في جزر القمر ارتباطاً وثيقاً بتأريخ دخوله إلى منطقة شرق افريقيا ، وهي أن قوماً من بني أمية ، قد وصلوا إلى جزيرة قنبلو*(15) عام 132 هجرية (750) عند سقوط دولتهم ، وأنهم فتحوا هذه الجزيرة ، مما يعني أن الإسلام قد وصل إلى ذلك الأرخبيل في النصف الأول من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي(16).

وهذا ما اتحفنا به الرحالة العربي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفي عام 345هـ/956) حين ذكر أن المسلمين استقروا في قنبلو، وأنهم غلبوا على هذه الجزيرة ، وسبوا من كان فيها من الزنج . وذلك في بداية الدولة العباسية وانتصار الدولة الأموية(17).

ويظهر أن المسعودي قام بأكثر من رحلة في تلك المنطقة ، وتردد إليها أكثر من مرة ، ويتجلى ذلك في قوله : " وآخر مره ركبت فيه (المركب) في سنة أربع وثلاثمائة من جزيرة قنبلو إلى مدينة عمان".(18).

مما يدل على أقدمية الوجود العربي في الأرخبيل ، ودول المنطقة ، وتردد العرب إليها قبل ظهور الإسلام ، وتعزز هذا الوجود بظهوره نتيجة توالي الجهرات.

ولعل العرب المسلمين الذين وفدوا إلى أنجوان للاستقرار فيها ، وعناهم المسعودي ، هم عرب الأزد من العمانيين ، الذين هربوا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي ، من الحكم الأموي ، إلى شرق افريقيا ، حيث إن حكام عمان الأزديين من آل الجلندي قاموا بانتفاضه على حكم الخليفة الأموي ، عبد الملك بن مروان (65-86هـ) وأرسل إليهم جيشه بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي (المتوفي 90هـ-714م) عامله في العراق ، من أجل إخماد الانتفاضة ، وإخضاع عمان لسلطة الخلافة وللسيطرة على الطرق التجارية البحرية التي تربط عمان بالشرق الأقصى ، ووسط افريقيا من جهة أخرى (19).

وذكر الشيخ برهان محمد مكلا القمري في كتابه المخطوط حول تاريخ جزر القمر ودخول الإسلام فيها : إن الإسلام ظهر في تلك الجزائر منذ عام 86 أو 96 هجري وهو الأصح عند أكثر المؤرخيين (20)

ارتبط انتشار الإسلام في ساحل شرقي افريقيا بوجه عام وجزر القمر بوجه خاص بنشاط العرب التجاري ، والهجرات سواء العربية منها أو الفارسية ، ولاسيما الهجرة الشيرازية ، ونتيجة للعامل الجغرافي المتمثل في قرب الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها من ساحل شرقي افريقيه ، وهو مـا عبر عنه كـوبلاند (Coupland) بأنهم كانوا جيران (the were next door neighbors) ، تبلغ المسافة من زنجبار وحتى عدن حوالي 1.700 ميل ، ومن زنجبار وحتى مسقط حوالي 2.200 ميل بالإضافة إلى دورية هبوب الرياح التجارية الموسمية على المحيط الهندي فتهب الرياح الشمالية والشمالية الشرقية وذلك من بداية ديسمبر ،

ويستمر هبوبها بانتظام حتى نهاية فبراير ثم ينعكس الأمر ، فمن ابريل تهب رياح قوية من الجنوب والجنوب الغربي ، وهكذا أصبح التجار العرب ينظمون رحلاتهم للساحل الأفريقي المقابل لهم حسب مواسم الرياح المنتظمة والمعروفة لهم(21).

فأبحروا بواسطة السفن الشراعية المعروفة بالدوات (dhows) (22) على طول الساحل الشرقي لإفريقية حتى موزمبيق حالياً ، وجدير بالذكر أنه مع تكرار الزيارات من قبل العرب للساحل الشرقي لإفريقية ، فقد نشأت ما عرف بإمارات الساحل مثل : قسماي وبراقا ومالندي وممبسة وزنجبار وكلوه وسفالة ومقديشو وغيرها(23).

ولهذا كان للعرب الدور الأكبر والحاسم في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في ساحل شرقي إفريقية والجزر المواجهة له ، فنشأت بجهودهم مدن ومراكز تجارية اعتزوا فيها بدينهم واحترامهم لأنفسهم ، فترك ذلك انطباعاً طيباً في نفوس الأفارقة ، جعل الكثيرين منهم يقبلون على الدين الإسلامي ؛ ومن ناحية أخرى كان اختلاط العرب المسلمين الوافدين إلى الساحل بالأفارقة ، وتزاوجهم من بناهم خطوة لما هو أبعد من ذلك ، إذ أدرك الأفارقة أن الدين الإسلامي يقوم على مبدأ الأخوة والمساواة ، ونظروا إليه على أنه دين للسود والبيض معاً(24).

وجدير بالإشارة هنا أن الحماس الديني دفع بإمارات الساحل الإسلامية إلى الجهاد في سبيل الله بهدف درء الخطر الذي يحيق بالإسلام ، فيصف ابن بطوطه أهل كلوه بأنهم أهل جهاد لأنهم في بر واحد متصل مع كفار الزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح(25).

وفي موضع آخر يشيد ابن بطوطه بفضائل سلطان كلوه ، وحسن دينه وخلقه وحبه الشديد للجهاد في سبيل الله ، فيقول : وكان سلطانها في عهد دخوله إليها أبو المظفر حسن ويكني أبو المواهب لكثرة مواهبه ، ومكارمه ، كان كثير الغزو إلى أرض الزنوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم يخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ، ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حده ، فإذا جاءه أحد الشرفاء دفعه إليهم وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها ، ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة منهم محمد بن حجاز ،

ومنصور بن لبيدة بن أبي نمي ومحمد بن نميلة بن أبي نمي ، ولقيت بمقديشو تبل بن كبيش بن جماز وهو يريد القدوم عليه ، وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم اهل الدين والشرف(26).

وقد ارتبطت كلوه مع باقي إمارات الساحل اقتصادياً بواسطة شبكة تجارية قوية كانت جزر القمر جزء منها ، حيث تؤكد الكتابات التاريخية القمرية للجزر على شدة ارتباط الجزر بالشيرازيين – حكام كلوه – كما تؤكد على التأثير الثقافي العام للساحل السواحيلي الشمالي على المدن البحرية للأرخبيل(27).

ومع ازدهار الوكالات التجارية بساحل شرقي إفريقية ، وتفتح الثقافة البحرية السواحلية ترددت جماعات من المسلمين القادمين من هذا الساحل الشرقي لإفريقية على جزر القمر وجزيرة مدغشقر ، وأقيمت آنذاك مبادلات مسترسلة بين ضفتي قناة موزمبيق(28).

وكانت هذه العلاقات على أحسن ما يرام ، ناهينا أن جاليات (29) من السكان المسلمين قد استقرت في أرخبيل القمر ، وفي بعض المناطق من جزيرة مدغشقر(30).

ومن منطلق الموقع المركزي جغرافياً لجزر القمر ، وما تشكله من سلسلة طبيعية من اليابس في غربي المحيط الهندي شمالي قناة موزمبيق ، تتوسط به الطريق بين إفريقية الشرقية وجزيرة مدغشقر ، هذا في الوقت الذي قامت فيه الإمبراطورية التجارية الإسلامية المؤلفة من إمارات الساحل الإسلامية أسفل الساحل الشرقي لإفريقية في غضون القرن الثاني الميلادي والتي اعتمدت تجارتها على تصدير الذهب والعاج ، وسلع أخرى إلى كل من الخليج الفارسي والهندي ، وكانت كلوه تمثل أكثر هذه الإمارات الإسلامية أهمية من حيث التجارة والمكانة السياسية ، وكان طبيعياً أن ينمو الطريق التجاري من جنوب شرقي كلوه مروراً بجزر القمر ، وحتى جزيرة مدغشقر ، وإزاء هذا الازدهار الاقتصادي ، الذي شهده الساحل السواحيلي صارت جزر القمر تمثل محطات في طريق هذه التجارة الإسلامية النشطة في المحيط الهندي تتوقف عندها السفن الآتيه من كلوه ، ومتجهة إلى جزيرة مدغشقر ، وغيرها بصورة منتظمة ، وفي هذا السياق يذكر أحمد بن

ماجد : أن مدينة دوموني والتي تقع على ساحل جزيرة انجوان ، وغيرها من المدن القمرية أماكن يتجمع فيها الناس للبيع والشراء بالاضافة إلـــى التزود بالمؤن.(31)

فيصف أحد البحارة البرتغاليين ، ويدعي تريستادا كونها (Tristanda Cunha) ما تحويه من مؤن ، فيقول : يوجد في الجزر العديد من المؤن من الدخن والأرز والأبقار والأغنام والطيور ومنها تتزود كل من كلوه وممبسة بما تحتاجه من مؤن (32).

ومما سبق يتضح أن العامل التجاري كان أساسياً في انتشار الإسلام ، والثقافة الإسلامية في جزر القمر ، وهو ما يؤكد على اعتمد دخول الإسلام في أرخبيل القمر على الطرق السلمية مع التجار العرب المسلمين ، والجماعات التي هاجرت إلى الجزر ، وكذلك نتيجة للاتصال البحري المستمر.

وتتحدث روايات قمرية عن بدايات الإسلام في جزر القمر ، وعن سبب انتشاره فيها ، فيذكر أوجاس (Aujas) رواية اعتمد في سردها على مخطوطة عربية عثر عليها في ارشيف جزيرة مايوت ، وهي لمؤرخ مجهول ، جاء في مضمونها أنه في عام 1304/5700م ، وصل إلى جزيرة أنجوان رجل عربي مجهول تزوج من ابنة السلطان الأول لجزيرة أنجوان ، ولا تذكر المخطوطة شيئاً عن هذا السلطان الأول كما أنها لم تذكر شئياً عن السكان الأوائل للجزيرة ، غير أنها تذكر أن هذا الزواج قد اثمر عنْ أول هؤلاء السلاطين العرب ، والذي يدعي فاني غوارو (Fani . Gouaro) ، وقد أسس عاصمته في ستوا (Sitoa) على الساحل الشمالي الغربي لجزيرة أنجوان ، وبعد أربعة أجيال لاحقة وصل إلى جزيرة أنجوان حسان بن عيسى الفارسي (الشيرازي) ليتزوج من ابنه السلطان ، وليطلق على نفسه بعد ذلك سلطاناً وبعد وفاته عام 1438/5834م ، خلفه ابنه محمد بن عيسى أو مشيندرا (Mouchindra) ، وقد تزوجت ابنته والتي كانت تدعي دجومب حاليما (Djumbe Halima) من ابن السلطان بات (pat) ، ويدعى موجني علوي (Mogne.Alloui) ، غير أنه لم يكن سلطاناً على الجزيرة، بل كان رفيقاً للسلطانة فقط(33).

ويذكر كل من فونتيونون وروماندهي (Fontoynont , et Raomandahy) رواية قد أخذها من الموروث التقليدي عن دخول الإسلام لجزيرة القمر الكبرى تقول إن زعيم قرية باتسا (Batsa) القريبة من ايتساندرا (Itsandra) ، ويدعى فسماى (Fesimay) قد جاء إلى بلدة تساويني (Tsaoueni) لأجل أن يتزوج من موانا ندر ولي عبد الله (Mouanandro Ali Abdallah) ، وكان قد أخبره الموااليمو (Moualimou)(34) ، بنبؤة تحمل على الخطر إذا ما أنجبت موانا ندرولي طفلاً ذكراً على أنه إذا حدث العكس وأنجبت أنثى ، لسوف تأتي السعادة لكن موانا أنجبت ولداً فما كان من أبيه فسماى ان عزم على قتله ، فذهب من يخبر أمه موانا بذلك الأمر ، فأسرعت بالهرب بابنها من وجه أبيه ، وقد عرف هذا الابن باسمان وهما متسو مويندجي (Mitsou . Moindji) ، وماسي فاسماى (Mhassi Fassimay) وقد صار فيما بعد سلطاناً علــى امفومي (Mfaoumi) ، وعندما بلغ الخامسة والأربعين عاماً علم من العرب الذين استقروا بجزيرة القمر الكبرى أمر الإسلام لهذا قرر الرحيل إلى مكة المكرمة للقاء نبي الإسلام ، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – واصطحب معه خلال رحلته إلى مكة المكرمة فبيجا مامبوي (Febedja . Mamboue) سلطان دومــبا (Domba)، بيد أن وصولهم لمكة جاء بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – وعندئذٍ عاد فبيجا مامبوى إلى جزيرة القمر الكبرى ، بينما قرر ماسي فاسماي البقاء بالجزيرة العربية ، حيث مكث مدة عامين تعلم خلالهما القرآن الكريم ، وتعاليم الدين الإسلامي ، ثم واصل رحلته إلى المدينة المنورة ، فدخلها مع وفاة الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وتولى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – الخلافة، وكان فاسماى قد قرر العودة إلى جزيرة القمر الكبرى لنشر الدين الإسلامي بين أهلها ، وقد صحبه محمد بن عثمان بن عفان إلى جزيرة القمر الكبرى ، وعلى إثر نزولهم الجزيرة شيد أول مسجد بها ، وهو يقع على ساحل تساويني ، وقد أعتبر محمد بن عثمان بن عفان بذلك أول داعية للإسلام بجزر القمر ، إذ أخذ ينشر تعاليم الإسلام فيما بين سكان تساويني ، وعندما أيقن أن أهلها قد حصلوا الدين وتعاليمه بصورة كافية ، أرسل بمت تعلم إلى دومبا أو بنسامادجي

(Bansamadji) إلى الشمال من مباجيني (M`Badjini) ، ورويداً رويداً انتشر الدين الإسلامي بين ربوع الجزر كافة(35).

وتشير رواية قمرية أخرى إلى أن جماعة من المسلمين على المذهب السني وصلوا إلى جزيرة أنجوان حوالي القرن الرابع عشر الميلادي ، ويبدو أنهم كانوا قد هاجروا من بلاد فارس هرباً من هيمنة الزيديين الشيعة(36).

بيد أن المسعودي يذكر أن أزد عمان الأباضيين نزلوا جزيرة قنبالو سنة 824/5280م (37) ، في الوقت الذي يذكر فيه شتيك أنه مع بداية القرن العاشر الميلادي كان هناك مسلمون في قنبالو(38).

على أن هناك من يؤكد على انتشار الإسلام بجزر القمر خلال القرن الحادي عشر الميلادي ، لتدين به الغالبية من السكان ، في حين كانت الغالبية خلال القرن التاسع والعاشر الميلاديين من سكان القمر الكبرى من الأفارقة غير المسلمين(39).

وبحسب رأي كارثي (Karthy) في كتاب " جزر إفريقية في بحر الهند والجزر العربية " المطبوع في باريس سنة 1885م ، أن تاريخ الفتح الإسلامي ووصول العرب المسلمين لجزر القمر غير معلوم ، وإنما ثبت أن رجلاً عربياً امتاز بالبسالة والإقدام جعل نفسه سلطاناً على جزيرة القمر الكبرى ويضيف كارثي أن أعقاب هذا الرجل هم الذين اشتبكوا في الحرب مع البرتغاليين عندما اغاروا على الساحل سنة 1504م ، ثم جاء بعد ذلك محمد بن عيسى الشيرازي مع جماعته ، ونزل أول الأمر في ساحل شرقي إفريقية ، ثم استولى على جزيرة مايوت ، وقد استقبله أهلها خير استقبال فإستحبها على جزيرة أنجوان ، وتزوج من ابنة سلطان مايوت (40).

ويذكر دوبلانتيه (Duplantier) ، أنه يقال إن العرب نزلوا في جزيرة القمر الكبرى قادمين من مسقط وغيرها ، وذلك في القرن العاشر الميلادي ، وكان بصحبتهم عبيد كثيرون ، ووجدوا فيها زنوجاً وثنيين لم يعرف تاريخ مجيئهم(41).

وما يدعم هذا الرأي ، إشارة أحد المؤرخين الحضارمة ، وهو الشيخ السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب العلوي ، الذي كان يعيش في بات بشرقي إفريقية، إلى أنه كان يوجد في أنقزيجه كثير من بني يعرب ، وبني نبهان من أهل عمان ، فقد جاء في تعليق الأمير شكيب أرسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامي ، بأنه قد سكن انقزيجه كثير من بني يعرب ، وبني نبهان أهل عمان ، وهم من ذوي الثراء بها وكان لبني نبهان بلدة تسمي مويرا(42).

ويبدو أن العرب من العمانيين والحضارمة كانت لهم السيادة على هذه الجزر حتى قدوم البرتغاليين ، بدليل ما ذكره المغيري من أن سيادة الشيرازيين حكام كلوه عليها كانت بعد سيادة البرتغاليين عليها ، أي أن هؤلاء الشرازيين لم يكن لهم عليها سلطان إلا على يد البرتغاليين ، الذين عينوا في حكمها بعض الأمراء الشيرازيين الذين أصبحوا كما هو معروف ألعوبة في أيديهم بعد أن استولوا على كلوه نفسها ومع ذلك فإن القبائل العربية كانت ذات فعالية قوية في جزر القمر ، حتى أنهم كانوا يفاخرون بأنسابهم وأصولهم ، وكان ينتج عن ذلك كثير من الشغب والتعصب مما دعا الحكم الشيرازي السلطان محمد بن عيسى إلى أن جبرهم على ترك الإنتماء إلى القبائل العربية ، حتى يقضي على المفاخرة والتعصب ، وما ينتج عنه من شقاق وخصام ، وصار انتماء الناس إلى الجزر القمرية ، وليس إلى قبائلهم العربية فصاروا يسمون بالقمريين(43).

وعلى أيه حال ، فقد صار من المسلم به عموماً أن الإسلام قد ضرب بجذوره جزر القمر ، على الرغم من أن الصورة العامة لانتشاره فيها كانت أقرب إلى الغموض ولكن أصبحت حقيقة أن الإسلام أصبح له دور كبير يعتد به إلى درجة كبيرة في تشكيل المجتمع القمري ، وصبغه بالثقافة العربية والإسلامية واقعاً يشهد به القاصي والداني.

وتنتشر في جزر القمر روايات تتعلق بمخطوطة قديمة عثر عليها في القرن التاسع عشر في جزيرة مايوت (ماهوري) وتشير المخطوطات المحلية والحكايات الشفاهية ، التي يتداولها القمريين حتى اليوم ، فحواها أن نبأ ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وصل أهالي جزر القمر ، فقام أحد كبار الرجال

باستشارة أهل بلاده في السفر للمدينة المنورة لمقابلة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فخرج شخصان وهما : (متسواموينزا Mtsoimoyindza) أمير منطقة (مبودي) و (في بيجَامْوَامبا Febedjamwamba) أمير منطقة دومبا) على متن سفينة شراعية ، قاصدين مكة المكرمة حتى وصلا جدة ، ومنها إلى مكة المكرمة،وعلما عند وصولهما إلى مكة بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، إلا أنهما واصلا رحلتهما إلى المدينة المنورة ، حيث وصلا في خلافة عثمان بن عفان ، ومكثوا هناك قرابة عامين تعلما خلالهما القرآن الكريم والفقه ، والشريعة الإسلامية ، وقواعد المعاملات الإسلامية ثم عاد لبلادهما لنشر الإسلام (44) ونزلا بعد عودتهما إلى جزر القمر ، في بلدة نسوين (Ntsaweni) حاملين معها القرآن الكريم ، وكتاب النكاح ، والمولد البرزنجي كما رافقهما في العودة أحد أبناء عثمان بن عفان ، محمد بن عثمان ، ليقوم بنشر الإسلام وتعليم الناس الدين الجديد، وبنوا أول مسجد في مدينة (نسوين) الذي يحمل اسمه حتى الآن وبنوا مسجداً آخر في بلدة (بنداماج لادومبا – Badamadji Ladomba) بجزيرة القمر الكبرى(45).

وهذه الواقعة رغم شيوعها لدى الأوساط القمرية ، وتداول بعض الباحثين لها في دراساتهم ، فإنها تظل مجرد أسطورة خيالية ، لعدم ورودها في المصادر العربية ، التي تحدثت عن تأريخ هذا الأرخبيل .

كما أنه من المستبعد جداً أن يأتي مثل هذا الوفد إلى حاضرة الإسلام ، بعد وفاة الرسول "صلى الله عليه وسلم" بوقت قصير أي في عهد الخلافة الراشدة ، دون أن ترد إشارة إلى ذلك في كتب التأريخ الإسلامي .

وذكر كتاب النكاح هنا ، الذي هو من تأليف المتأخرين ، على مذهب الإمام الشافعي ، الذي عاش في الفترة ما بين عامي 150هـ – 204هـ وكتاب المولد الذي هو تأليف أبي جعفر البرزنجي ، من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، يضرب هذه الأسطورة ، ويدل على بطلانها ، ومما يزيدها غرابة أنهم ذكروا أن أحد أولاد عثمان بن عفان قد اصطحب الوفد إلى جزر القمر ، واستقر معهم في الجزر ، وتوفي بها ، وكل أولاد الخليفة الراشد عثمان معروف في كتاب التأريخ، ولم يذكر أحد من المؤرخين ذلك.

ويرى بعض المؤرخين القمريين المعاصرين أن الواقعة في مجملها صحيحة إلا أنها وقعت في وقت متأخر عما ذكر ، وخلاصتها أن الوفد سافر إلى اليمن لا إلى الحجاز ، لدراسة الدين الإسلامي ، ولما رجع أسس بلدة (تسوين) بجزيرة القمر الكبرى ، نسبة إلى (سيئون) مدينة في اليمن. وهذا يتناغم مع بعض ماذكر ، من حمل كتاب النكاح في الفقه الشافعي ، والمولد البرزنخي ، لانتشار هذا وذاك في 0(حضرموت) باليمن.

ومن هنا يتضح الشواهد إلى الرأي القائل بدخول الاسلام إلى هذا الأرخبيل في وقت مبكر ، مع نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني ، بواسطة العرب القادمين للتجارة أو الهاربين من الاوضاع السياسية والمذهبية ، وأنه إزدهر من يوم دخوله في الأرخبيل ، وتدعمت اركانه ، ورسخت قـواعده ، وأضحى كل سكان الجزر مسلمين حتى وقتنا الحاضر – وكانوا يطبقون الشريعة الاسلامية في حياتهم قبل وقوع الأرخبيل تحت نيران الاستعمار الفرنسـي عام 1841م كما كانت لهم صولاتهم وجولاتهم في نشر الاسلام والثقافة العربية والاسلامية في دول الجوار مثل زنجبار ومدغشقر والجزر المحيط الهندي وموزمبيق.

إن انتشار الإسلام وقيامه جنباً إلى جنب مع العقائد المحلية يعتبر من أهم الظواهر في حياة سكان جزر القمر ، حيث لم يتخذ الاسلام وسيطاً إلى نفوس الناس بل خاطبهم مباشرة ، ولم يلجأ إلى التغيير العنيف، بل تعايش مع العادات والطقوس القديمة للسكان الاصليين وعدل مايتنافى منها مع جوهره ، تدريجياً ، فتمت بذلك عملية التحول الممرحل إلى الإسلام ، وقد أدى هذا في نهاية الأمر إلى بلورة مجتمع إسلامي تغلب عليه الصبغة الاسلامية التي تحمل ملامح افريقية ، بل أن الإسلام قد خلق مجتمعاً جديداً له ثقافة إسلامية غالباً.

ومن هنا نستطيع أن نقول: أن جزر القمر أرض من أراضي الأمة الإسلامية حظيت بنور الاسلام منذ فجر شروقه لموقعها الجغرافي في طريق المواصلات والتجارة من وإلى الجزيرة العربية. وهو البلد الوحيد في هذه المنطقة الذي يدين سكانه بنسبة 100% بالدين الاسلامي وفي أي مكان من هذه الجزر

تشعر بالوجود العربي الاسلامي. وانتشار الدين الاسلامي بين السكان في جزر القمر إنما يرجع إلى العلاقات العربية.

وأصبحت العادات والتقاليد العربية بمثابة الرابطة التي دعمت من نمط السكان وحرصهم على الاسلام والانتماءات إلى الاسرة العربية. كما تشير بعض التقديرات إلى أن عدد المساجد في الجزيرة يفوق من 700 مسجد، حيث يحرص السكان على إقامة الشعائر الدينية ، ولكن ينقصها التوجيه والارشاد ، وهـــذا دور الدول العربية والإسلامية ، والمؤسسات الاسلامية بتأثير فـــي انجاز هـــذه المهمة.(46)

الديانة المسيحية:

في 31 ديسمبر عام 1992م قدر عدد الموالين إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بحوالي ثلاثة آلاف ، أي مايعادل بحوالي 3% من عدد السكان ومعظمهم من جزيرة مايوت وهي أساساً من الجالية الفرنسية والملجاشية الموجودة في جزر القمر ولاسيما في جزيرة مايوت، والديانة المسيحية في جزر القمر متمثلة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والمكتب البابوي الاداري في جزر القمر ولجنة البعثة الكاثوليكية.(47)

المركز الأول الذي استقبل الإسلام في جزر القمر:

لقد ارتكـــز الإسلام فـــي جزر القمر – أول الأمر – على مدينة 0تسويت (48)، وهي بلدة ساحلية في منظمة (مبودي) M`BOUDE ، تبعد عن العاصمة (موروني) بحوالي 30 كلم ، ثم أخذ يتوغل في القرى والمدن الداخلية والجزر الاخرى وكان ذلك نتيجة طبيعية عن المحور الذي عبر به الإسلام إلى هذا الأرخبيل ، وهو المحور البحري ، وهو سمة بارزة ، وقاسم مشترك ، لجميع البلدان التي دخل إليها الإسلام ، في بداياته ، عن طريق البحر ، خاصة دول الساحل الشرقي الافريقي.

وسبقت الإشارة إلى ماتذكره الروايات الشفاهية والمخطوطات المحلية التي أفادت بدخول الاسلام في وقت مبكر ، عن طريق الرافد القمري الذي سافر بعد سماع بمبعث الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الأراضي المقدسة وعاد بالإسلام

ونزل أول مانزل في هذه البلدة الساحلية ، التي ظلت تنسج حولها الاساطير ، وتحكي عنها الاقاويل كما سبق بيان ذلك.

ومهما كانت كيفية وصول الإسلام إلى هذه الجزر عن طريق الرافد القمري أو العرب القادمين للتجارة أو للإقامة فراراً من الاضطهاد المذهبي والقهر السياسي فإن ذلك لا يتصادن مع أسبقية البلدة المذكورة وأولويتها في استقبال الإسلام واحتضانه في الارخبيل ، كما لا يقلل من شأنها ودورها التاريخي في خدمة هذا الدين ونشره على مستوى الجزر وأضحت فيمابعد – مضرب المثل عند القمريين لمن يجد صعوبة في حفظ القرآن الكريم (من استصعب عليه القرآن فليذهب إلى تسوين) الموطن الأول الذي استقبل فيه القرآن الكريم والإسلام بجزر القمر التي ماعرف اهلها منذ دخول الإسلام إليها ديانة أخرى عبر التاريخ ، ويعزز هذت الاطروحة أعنى اولوية هذه البلدة في استقبال الإسلام في الأرخبيل – احتضانها لبعض المساجد القديمة التي بعضها مازالت آثارها ماثلة حتى الآن ، وهذا مالم يظهر لنا قول آخر فيها وقفنا عليه من مصادر تاريخية للجزر.

مراكز جديدة لانتشار الاسلام:

لما ضرب الاسلام اطنابه في بلدة (تسوين) واستقام عوده ، وقويت شوكته واستوى على سوقه في هذه البلدة القمرية الساحلية التي كانت مرساة مركزية مهمة للسفن الشراعية ، ومهبط الرحلات التجارية والهجرات العربية ، أخذ الدين الجديد يكتسب اتباعاً من يوم لآخر وينتشر من قرية إلى أخرى داخل جزيرة القمر الكبرى.

فكان الموطن الثاني الذي تشرف باستقبال الإسلام في تلك الجزيرة ، كما تواترت الروايات الشفاهية والمخطوطات المحلية – هي بلدة (بنداماجي – لادومبا BADAMADJI LADOMBA) في منطقة (مباجين MBADJINI) (49) وهي بلدة ساحلية تقع في جنوب الجزيرة ، على بعد 45 كلم ، من العاصمة "موروني" ومما يؤيد هذه الاطروحة وجود مسجد قديم يشبه في شكل بنائه ومحرابه – إلى حد كبير – مسجد (جومبي فوم) في بلدة "تسوينط الذي يعتبر أول مسجد في جزر القمر (50)

وبالتطور لمسار الدعوة الاسلامية في تلك الجزيرة يتضح أنها انتقلت أيضاً من بلدة (تسويت) إلى بلدة (بووني BOUWONI) العاصمة الأولى لمنطقة (همهامي) في القرن الرابع عضر الميلادي بوجود مسجد " فُومشي Foumche " الذي يعتبر من أقدم المساجد في الأرخبيل القمري .

ومن الواقع أن يكون وصول الإسلام إلى هذه البلدة عن طريق الهجرات الخارجية مباشرة نظراً لموقعها الاستراتيجي الساحلي ، حيث أن بلدة "بوني " كانت مرفأ بحرياً مهماً ترسو فيه البواخر التجارية . ومنها انتقل الإسلام إلى بلدة " مبيني Mbeni " في القرن الخامس عشر الميلادي وذلك بواسطة السلطان " انيهيلي " (المتوفي 875هـ/1470م) الذي انتقل من مسقط رأسه " بووني " لتأسيس "مبيني " بعيداً عن الساحل ، وبنى بها عام 850هـ/1446م مسجده الذي كان لعهد قريب موجوداً ومعروفاً باسمه.

ويفهم على ضوء ما سبق أن جزيرة جزيرة القمر الكبرى " انجازيجا " بالنظر إلى بقية الجزر القمرية . هي الأولى التي استوطن فيها الإسلام ، ثم انتقل منها إلى الجزر الثلاث الأخرى ، وأخذ ينتشر شيئاً فشيئاً على يد العرب وغيرهم من التجار والدعاة الذين قاموا ببناء المساجد وانشاء المدارس الإسلامية في المدن المختلفة حتى لم يمر زمن طويل وقد دخل جميع السكان في جزر القمر كلها في الدين الإسلامي.

ولقد كان الدور الذي قام به الشيرازيون القادمون إلى جزيرة " أنجوان" وفي طليعتهم ، حسن بن علي مؤسس النظام السلطاني بالجزيرة ، ومحمد بن عيسى الذي قدم إلى جزيرة القمر الكبرى عام 912هـ/1399م ، واتخذها موطناً له ، ثم أرسل ابنه حسن بن محمد بن عيسى إلى جزيرة " أنجوان " وجعلها مقراً له ، وعثمان بن أحمد إلى جزيرة " مايوت " الذي جعلها هو الآخر مركزاً لنشاطه في ظل نفوذ وسيادة محمد عيسى . لقد مخض عن جهود هؤلاء الثلاثة مع أبنائهم وأتباعهم انتشار الدين الإسلامي ، من خلال مراكز جديدة خاصة في جزيرتي " أنجوان ومايوت " فأعتنق السكان الإسلام ، وأتخذوا المذهب السني مذهباً لهم ،

وذلك بتأثير واحتكاك مباشر مع هؤلاء الدعاة الذين أصبح أحفادهم فيما بعد يشكلون طبقة ارستقراطية تزعمت الجزر وسيطرت عليها حتى مجيء الاحتلال الأوروبي واخضاعها لحكمه.

وسائل انتشار الدعوة الإسلامية في الأرخبيل:

لقد لعبت التجارة في تأريخ الإسلام ومسار انتشاره ووصوله إلى العديد من الدول والشعوب دوراً محورياً ، وتجسد وتجلى في الكثير ممن أعتنقوا هذا الدين بسبب تعاملهم مع التجار المسلمين والتأثير بهم ، حيث أن عملية البيع والشراء المبنية على تراضي طرفيها ، والأخذ والعطاء ، يصحبها دائماً تبادل الأفكار وتلاقي الثقافات وانتقال الحضارات.

فجزر القمر في الواقع تشكل منطقة بالغة الأهمية ذات موقع استراتيجي في شرق إفريقيا ، وهذا الموقع يمثل بدوره من القدم جزءاً مهماً في النظام التجاري دور الوسيط في التبادل التجاري بين المناطق المنتجة والمناطق المستهلكة المطلة على ذلك المحيط ، فالتجارة كانت القاعدة الأساسية لازدهار الحياة الحضرية فيه . فسواحل إفريقيا في الواقع تمثل مركز تفاعل حضاري ما بين إفريقيا وعالم المحيط الهندي . وهذا التفاعل كان مصطبغاً بالصبغة التجارية(51).

إن جزر القمر قد برز دورها التجاري في ساحل شرق إفريقيا منذ عهد مبكر قبل ظهور الإسلام ، ثم تعزز هذا الدور بعد وصول الإسلام إلى ربوعها بحكم موقعها الجيو–استراتيجي ، لتتحول إلى " منطقة تجارية حرة " يتقاطر عليها التجار بسفنهم وقوافلهم من العرب المسلمين القادمين من جزيرة العرب والخليج العربي والبحر الأحمر ، ومن سواحل الهند ، يقيمون فيها فترة من الزمن ، يتبادلون خلالها السلع ، ويشترون منها الأرز والدخن والعنبر والعبيد حيث ينقلون هــذه البضائع إلى البلاد العربية عبر البحر الأحمر ليبادلــوا بها الأقمشة القطنية (52) وكانت هذه الرحلات البحرية تتم تبعاً لحركة الرياح الموسمية ، وبالإضافة إلى دورية هبوب الرياح التجارية الموسمية على المحيط الهندي فتهب الرياح الشمالية والشمالية الشرقية وذلك من بداية ديسمبر ويستمر هبوبها بانتظام حتى نهاية فبراير ثم ينعكس الأمر ، فمن أبريل تهب رياح قوية من الجنوب والجنوب

الغربي ، وهكذا أصبح التجار العرب ينظمون رحلاتهم للساحل الأفريقي المقابل لهم حسب مواسم الرياح المنتظمة والمعروفة لهم(53).

وبرزت جهود التجار المسلمين في هذا المجال كذلك في إسهامهم في بسط الدعوة الإسلامية وسط القمريين سواء في أوساط عامتهم أو خاصتهم من السلاطين وأهل الجاه والنفوذ وشيخ القبائل المحلية . ذلك أن التجار بحكم أعمالهم وتخصصاتهم كانوا أكثر العناصر الإسلامية تداخلاً واختلاطا مع السكان الأصليين والوافدين على السواء من أجل تسويق بضاعتهم والترويج لها وبيعها ، وهذا يستدعي إقامة علاقات واسعة مع كل الشرائح ، وقضاء مدد أطول قد تصل إلى شهور ، ولا شك أن هذا الاختلاط كان يوفر فرصاً كبيرة للتجار المسلمين لدعوة السكان للإسلام والتأثير فيهم.

كما كانوا يقيمون مساجد لأداء الصلاة في أماكن نزولهم وإقامتهم وعلى موانئ ، ويساعدون الراغبيين في أداء مناسك الحج ، ويحملون بعضهم في مراكبهم، ويرشدون التأئهين منهم ممن لا يعرفون الطريق.

وقد أسهم التزام التجار بتعاليم الدين الإسلامي في تعاملهم وسلوكهم وتمثيلهم بصفات الأمانة والوفاء والبر وغيرها في اكتساب ثقة القمريين وغيرهم والتأثير فيهم . هذا من حيث بعض جهود التجار في مجال نشر الإسلام والدعوة إليه وسط عامة القمريين .

أما جهودهم مع زعمائهم فنجدها بارزة وواضحة في احتكاكهم بأصحاب السلطة والنفوذ ، حيث استطاع أولئك التجار نتيجة لرحلاتهم المتكررة واستقرار بعضهم في المناطق الساحلية مختلفة في الأرخبيل ، وصفقاتهم التجارية التأثير في بعض رؤساء القبائل وبيوتات السيادة.

ومما يدل على ذلك أن عائلة عمانية عريقة ، أقامت في بلدة " شيغوني" التي كانت يومها حاضرة جزيرة " أنجوان " القديمة ، وكانت العائلة المذكورة ذات ثروة طائلة بسبب قيامها بالأعمال التجارية والاتصالات الاقتصادية ، مع العديد من بلدان العالم الإسلامي والهندي ، وقد ساعدت تلك الثروة والأعمال التجارية وحسن الإسلام والعمل في وجوه البر والخير وبناء المساجد ، والقيام بالواجب الإسلامي

نحو نشر الثقافة العربية الأمر الذي ساهم بشكل ملحوظ في إنتشار الدعوة الإسلامية في الأرخبيل.

ولهذا كان العرب الدور الأكبر والحاسم في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في ساحل شرقي إفريقية والجزر المواجهة له ، فنشأت بجهودهم مدن ومراكز تجارية اعتزوا فيها بدينهم واحترامهم لأنفسهم ، فترك ذلك إنطباعاً طيباً في نفوس الأفارقة ، جعل الكثيرين منهم يقبلون على الدين الإسلامي ، ومن ناحية أخرى كان إختلاط العرب المسلمين الوافدين إلى الساحل بالأفارقة أن الدين الإسلامي يقوم على مبدأ الأخوة والمساواة ونظراً إليه على أنه دين للسود والبيض معاً(54).

ومن منطلق الموقع المركزي جغرافياً لجزر القمر ، وما تشكله من سلسلة طبيعية من اليابس في غربي المحيط الهندي وشمالي قناة موزمبيق ، تتوسط به الطرق بين إفريقيا الشرقية وجزيرة مدغشقر ، هذا في الوقت الذي قامت فيه الإمبراطورية التجارية الإسلامية المؤلفة من إمارات الساحل الإسلامية أسفل الساحل الشرقي لإفريقية في غضون القرن الثاني عشر الميلادي والتي اعتمدت تجارتها على تصدير الذهب والعاج ، وسلع أخرى إلى كل من الخليج الفارسي والهند ، وكانت كلوه تمثل أكثر هذه الإمارات الإسلامية أهمية من حيث التجارة والمكانة السياسية ، وكان طبيعياً أن ينمو الطريق التجاري من جنوب شرقي كلوه مروراً بجزر القمر ، وحتى جزيرة مدغشقر ، وإزاء هذا الإزدهار الاقتصادي ، الذي شهده الساحل السواحيلي صارت جزر القمر تمثل محطات في طريق هذه التجارة الإسلامية النشطة في المحيط الهندي تتوقف عندها السفن الآتية من كلوه ، ومتجهة إلى جزيرة مدغشقر ، وغيرها بصورة منتظمة ، وفي هذه السياق يذكر أحمد بن ماجد " أن مدين " دوموني " والتي تقع على الساحل جزيرة " أنجوان " وغيرها من المدن القمرية أماكن يتجمع فيها الناس للبيع والشراء بالإضافة إلى التزود بالمؤن*(55).

ومما سبق يتضح أن العامل التجاري كان أساسياً في إنتشار الإسلام ، والثقافة الإسلامية في جزر القمر ، وهو ما يؤكد على اعتماد دخول الإسلام في أرخبيل القمر على الطريق السليم مع التجار العرب المسلمين ، والجماعات التي هاجرت إلى الجزر ، وكذلك نتيجة للاتصال البحري المستمر.

هجرة القبائل العربية إلى جزر القمر:

لقد تبع ظهور الإسلام وانتشاره خارج الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي اندفع جماعات من العرب من ساحل الجزيرة العربية على ساحل شرقي إفريقيا لعدة اعتبارات منها التجارة أو الإقامة الدائمة . وبدأ هؤلاء المهاجرون يقيمون المدن والإمارات الإسلامية على الساحل والجزر المقابلة له ، وقد صادفوا جماعات من العرب سبقتهم إلى هناك من أزمنة بعيدة ، كما لقوا شعباً مولداً هو الشعب السواحيلي ، أسهمت العناصر الوافدة على الساحل في تكوين سماته وهويته ، حلوا على الناس ، وتزاوجوا منهم واندمجوا معهم . وأخذت شعوب الساحل والجزر المقابلة له ومنها شعب جزر القمر عنهم الإسلام والثقافة العربية التي قامت عليه ، كما أخذت عنهد الكثير من وسائل عيشهم ونماذج حياتهم(56).

ونجد الإشارة إلى أن معظم المهاجرين كانوا من الحضارمة والعمانيين ، نتيجة العلاقة المكانية المتأتية من الموقع الجغرافي المهم لكل من اليمن وعمان ، وما عرف عن العمانيين من معرفتهم الجيدة بالبحر ، وطرق الملاحة وقوانينها . مما جعلهم يندفعون إلى الشرق الإفريقي لخدمة أغراضهم التجارية.

فقد ذكر المسعودي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي أن أهل المراكب من العمانيين يقطعون الخليج " خليج بربري " إلى جزيرة قنبلو في بحر الزنج ، والتي من المرجح أن تكون هي جزيرة أنجوان ، وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد . وينتهون في بحر الزنج إلى جزيرة قنبلو وإلى بلاد سفالة والواق واق من أقصى أرض الزنج وأسافل من بحرهم .

ونخلص إلى القول إن هذه الجزر قد استقبلت بعض القبائل والعائلات العربية قبل وبعد الإسلام ، لكن أغلبها جاء في شكل موجات بشرية قام بها العرب المسلمون على شرق إفريقيا لنشر الإسلام ولغرض الإقامة والاستقرار وخاصة بعد ما شهدت الجزيرة العربية الصراعات المذهبية والسياسية.

ونزل بجزر القمر العرب من بني يعرب المناذرة ، وغيرهم من قبائل عمان ، ثم توالى نزول جماعات من عرب اليمن وحضرموت ، وأكثرهم من أولاد محمد بن طاهر باوزير ويشاهد مهاجروهم وأولادهم وذرياتهم ، في أنحاء الجزر القمرية . ومن جملة من هاجر إليها من الحضارمة السيد أبوبكر بن عبد الله بن سميط ، وقد تزوج في أرفع بيت من بيوتها ، وولد له العلامة أحمد بن أبي بكر بن سميط ثم توفى بها ودفن قرب بيته بمدينة (اتسندرا Itsandra).

وهذا وكان أول الوافدين إلى شرق إفريقيا ومنها إلى جزر القمر من الحضارمة المنتسبين إلى الشيخ أبو بكر بن سالم هم ذرية شيخان بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم . وأول من هاجر منهم من حضرموت هو السيد أحمد بني ألي بكر بن عبد الله بن شيخان بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم .

وهاجر أيضاً من آل الشيخ أبي بكر بعض ذرية أحمد بن حسين بن الشيخ أبي بكر ، ومنهم صالح بن محمد بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر ، ثم تفرق هؤلاء فمنهم من أنتقل إلى "لامو" " وممباسا " ومنهم من أنتقل إلى " زنجبار " " وتنقانيكا " ومنهم إلى " جزر القمر " ومنهم من بقي ببتي ، وهذا الأخير وأعني السيد صالح بن محمد بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر أكثر ذريته بجزر القمر ، وقد تولوا السلطة والحكم بها ولا يزالون إلى اليوم يشغلون المراكز الحساسة بالأرخبيل القمري وهؤلاء السادة كلهم محفوظة سلاسل أنسابهم (57).

كما هاجر أيضاً إلى شرق إفريقيا وخاصة جزر القمر من آل الشيخ أبي بكر بن سالم مجموعة من ذرية السيد علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب السور في مقبرة عينات وأقاموا بجزر القمر واشتهروا فيها وتولى السلطة بها كثير منهم لا سيما في منطقة " بامباو Bambawo " " وميسامهولي Mitsamihouli" " ومباجيني Mbadjini" وهؤلاء الذين تولوا السلطة كانت أمهاتهم قمريات.

أما الحضارمة المهاجرون إلى جزر القمر من المنتسبين إلى آل جمل الليل فهم هاجروا من حضرموت في القرن العاشر الهجري عن طريق الشحر إلى "بته" بكينيا وأقاموا بها ثم تفرقوا في كل شرق إفريقيا كينيا وتنزانيا بما فيها زنجبار والجزيرة بيمبا وجزر القمر حتى مدغشقر ، وكانوا فخذين : الأول من ذرية عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن الشيخ محمد جمل الليل . والفخذ الثاني من ذرية أحمد بن عبد الله باحسن بن محمد بن سالم بن عبد الرحمن بن علي بن محمد جمل الليل ولقد اندمج مع القبائل المحلية حتى أنه لم يعودوا يعرفون إلا باسم " شريف " الشائع الاستخدام لمن ينتسب إلى آل البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أهم القبائل والعائلات العربية التي استقرت بجزر القمر – بالإضافة إلى ما ذكر . بنو أمية ، آل السقاف ، وآل ودعان ، آل بافقيه ، آل باوزير ، آل باشراحيل ، آل العيدروس ، آل الحداد ، آل الأهدل ، آل العقيلي ، آل المعلم ، آل دحلان ، آل عبديد(58).

على أن تلك الهجرات العربية لم تتم في فترة واحدة ، ولم تحركها دوافع واحدة ، كذلك بل تحكمت فيها عدة عوامل ومؤثرات طبيعية مما سهل هذه الهجرات العربية إلى سواحل شرق إفريقيا وجزر القمر والجزر المقابل لها عبر باب المندب .

أما عن دوافع الهجرات العربية وعن إسهامهم في نشر الدعوة الإسلامية منها دافع دينية وذلك بعد بزوغ فجر الإسلام إستجد عامل من عوامل الهجرة العربية يتمحور في حركة الفتوح الإسلامية التي دفع بالعرب المسلمين إلى الخارج الجزيرة العربية لنشر الدعوة الإسلامية ، فإن الإسلام انتشر وتوطن فيها بالخيار الأول لا الثاني بجهود المهاجرين العرب الذين وصلوا إلى الأرخبيل لهذا الدافع الديني لا غير.

الدوافع السياسية

تتباين الدوافع السياسية وتختلف بحسب الأوضاع السائدة في شبه الجزيرة العربية ، ومن الدوافع السياسية التي أدت إلى إزدياد معدلات الهجرة العربية لساحل شرق إفريقيا السياسات المختلفة التي اتخذها بعض الولاة في العهود المختلفة ومنها سياسة الدولة الأموية التي كانت تعمل على قمع المعارضيين وتصفية الحسابات مع المناوئيين ، وعلى تشجيع هجرة القبائل القيسية من الجزيرة العربية إلى مصر لأجل التقليل من نفوذ القبائل اليمنية ، فكان أن دفعن هذه السياسة لهجرة اعداد كبيرة من هذه القبائل إلى بلاد البجة (59) وكذلك سياسة الدولة العباسية القائمة أساساً بالاعتماد على العناصر غير العربية ، وسحب بساط النفوذ والسلطة من أقدام العرب ، وتجلت بشكل واضح مظاهر تلك السياسة الاقتصادية ، وخصوصاً في عهد الخلفة المعتصم محمد بن هارون الرشيد (218-227هـ/833-841م) .

الدوافع الاقتصادية

لقد فرضت حركة تجارية متنامية كان لها أكبر الأثر في إزدياد الهجرات العربية والإسلامية لتلك المنطقة ، فكانت جزر القمر تمثل نقطة ارتكاز محورية لهذا النشاط الاقتصادي ، وموانيء مهمة لاستقبال السفن التجارية القادمة من وإلى الجزيرة العربية ويدل على ذلك ما ذكره بهذا الخصوص الرحالة العرب كالمسعودي وبن ماجد وغيرهما.

وقد ساعد هذا النشاط التجاري على فتح آفاق جديدة للعمل أمام التجار المسلمين المهاجرين ، ومواطن أخرى للإقامة والاستقرار ، فتعزز بذلك وبحسن تعاملهم مع السكان المحليين وتمسكهم بدينهم عقيدة وعبادة ومنهج حياة انتشار الدعوة الإسلامية في الأرخبيل القمري وفي دول المنطقة.

ومن الواضح أن أنتشار الإسلام بين سكان جزر القمر وتوطنه فيها قد ارتبط إرتباطاً وثيقاً بتدفق الهجرات العربية إليها واستقروا فيها وبسط نفوذهم ومؤثراتهم الثقافية والحضارية عليها قبل وقوعها في الاحتلال الأوروبي.

وكما تشير بعض المصادر أن العنصر الشيرازي من العناصر التي شكلت أصول السكان جزر القمر ، حيث عرف الشيرازيون الهجرة إلى هذه الأرخبيل قبل ظهور الإسلام ، واستمر هذا النزوح بعد ظهوره حتى تكونت في نهاية القرن العاشر الميلادي الإمبراطورية الشيرازية في شرق إفريقيا عرفت باسم امبراطورية " الزنج" لاعتماد الشيرازين في بناء دولتهم على " الزنوج " واتخذوا مدينة كلوه التي عرفت حالياً بموزمبيق عاصمة لها . وكانت جزر القمر ضمن المناطق التي خضعت لنفوذها (60) وقد أدى احتكاك هؤلاء المهاجرين الشيرازيين بالسكان الآخرين من ذوي الأصول العربيّة والإفريقية والأندونسية ، ووصولهم إلى مراكز السلطة والنفوذ إلى إزدياد انتشار الإسلام ، وتعميق الهوية الإسلامية لجزر القمر ، وقد حملوا معهم إلى جانب الأثر الديني مؤثرات حضارية وثقافية تمثلت في كل من العمارة والبناء باستخدام الحجر والخشب واستخدام المنسوجات القطنية ، وزراعة بعض الفواكه ، وفي ذلك إزدهرت جزر القمر كمحطة تجارية للحاصلات في المنطقة.

جهود القمريين في إنتشار الإسلام

والثقافة العربية في دول المنطقة

لقد تجاوزت المؤثرات المترتبة عن انتشار الإسلام في جزر القمر ، في أبعادها الثقافية والدعوية ، حدودها ومحيطها المحلي ، وامتدت وتسربت إلى خارجها وإلى المستوى الإقليمي والعالمي . فعلي الصعيد العالمي بما خلفه علماء الأرخبيل من مؤلفات في العديد من المجالات ، وأعمال أدبية وتراثية ، ترقى إلى المستوى العالمي ، وتشكل لبنة قوية ، تسهم جنباً إلى جنب لبنات وإسهامات الدول والشعوب الأخرى في بناء الصرح الثقافي والحضاري للإنسانية جمعاء.

أما على المستوى الإقليمي تحديداً فيتجلى ذلك في خروج كوكبة من كبار علماء جزر اقمر وأبنائها منها الذين كان لهم صولات وجولات في " خارطة" إنتشار الإسلام والثقافة العربية في غير واحد من بلدان شرق إفريقيا من خلال محور " زنجبار " في تنزانيا و " لامو " في كينيا.

وهاتان الجزيرتان يعود إليها الفضل في إنتشار الحضارة الإسلامية والثقافة العربية ، وبث العلم والدعوة الإسلامية بشرق إفريقيا ، وشاطرتهما في ذلك جزر القمر التي كانت تمثل – إن صحت العبارة – مركز استقبال ثقافي وإعادة البث أو " بلغة الأعمال ودنيا المال " " منطقة تجارية حرة للاستيراد وإعادة التصدير " ، وقد كانت كذلك بالفعل ، ولعبت هذا الدور في كلا الحالتين ، وهذا مما ثبت تاريخياً ، ولا يشق له غبار .

ولكن الذي يعنينا هنا هو " إعادة التصدير " الثقافي المتمثل في جهود أولئك العلماء والدعاة القمريين ، من الأصول الحضرمية وغيرها ، الذين هجروا الأرخبيل إلى الدول المجاورة ، وتخرج على أيديهم مئات الألوف من سكان هذه البلدان ، وصاروا مثال العلم والمعرفة والأدب الرفيع والسجايا الحميدة ، وكان لبعضهم .– كما قلنا – مؤلفات في شتى العلوم أصبح لهم حضور واسع وصدى كبير في العالم الإسلامي وحفظ على أيديهم كثير من أبناء إفريقيا كتاب الله تعالى.

فرحم الله تعالى أولئك الدعاة إلى الله تعالى جميعاً – قمريين وغيرهم – بواسع رحمته وغمرهم بعفوه ورضوانه ، وعطر قبورهم بشذى مغفرته وفضله .

والله در الشاعر الذي يقول مترحما على هؤلاء الدعاة:

وبمهجتي نفراً بإفريقا مضوا كانوا مثال العلـم والتمكين

كرماء تهتز الرؤوس لذكرهم عظماء في التاريخ والتدوين

وهم سنام المجد والسباق فـي نشر المكارم من قديم قرون

تقتص رواد العلى آثارهـم ولصوتهم في الربع أي رنين

وبزنجبار بقية طالـت بهم إفريقيا شرقاً علـى نسرين

خدموا الشريعة مصلحين وقلدوا جيد الزمان قلائد النسرين(61)

هذا ونسلط الضوء على بعض جهود أولئك العلماء المهاجرين من جزر القمر إلى بعض البلدان المجاورة ، بشيء من التفصيل على النحو التالي:

أولاً:في زنجبار "بتنزانيا":

إن جزيرة " زنجبار " " وبمبا " تشكلان حكومة محلية لها اتحاد فيدرالي مع : بنجانيقا " ، وتم الاتفاق على هذا التوحيد في نهاية إبريل 1964م تحت رئاسة

أيوليوس نيريري ، وفي أكتوبر 1964م تمت تسمية الجمهورية المتحدة باسم " تنزانيا "(62).هذه الدولة – أعني زنجبار – مسلمة وتبلغ النسبة المئوية فيها أكثر من 95%.

من الصعوبة بمكان الجزم – على وجه التحديد – بأصل كلمة " زنجبار " ومن هو أول من أطلق هذا الاسم على الجزيرة ، ولكن المصادر التاريخية المتاحة تكاد تجمع على أن التجار العرب العمانيين هم أول من أطلقوا على ساحل إفريقيا الشرقية اسم " زين البر " من قبل أن يتوغلوا في " زنجبار " أو الداخل الإفريقـــي (63) لقد سحرهم على ما يبدو – الساحل الأخضر وهم القادمون من سواحل صحراوية جرداء , فإذا بهم أما بر رائع جميل خلاب وأرض خصبة . ولما اندمجوا مع السكان الاصليين والشيرازيين الوافدين ، ودخلوا إلى مجاهل القارة ، وتعرفوا عن كثب على الأرض وأهلها ، تحور الاسم إلى " زين الزنج بر " . ولما كانت زين كلمة عربية تعني المليح والجميل ، و " الزنج " كملة أصلها فارسي " زانغ " تعني الأسود ، و " البر " كلمة عربية تعني الأرض ، جمعت الكلمات الثلاث معاً : الجمال والأرض والزنوجة . وإذا بالعرب يطلقون على تلك الجزيرة الخضراء اسم " أرض الزنج الجميلة " أو " أر الناس ذوي اللون الأسود " وحور هذا الاسم مع تعاقب الهجرات ، وتوالى موجات الاستعمار ، واختلاط الأقوام بين الداخل الإفريقي والساحل العربي ، وتطور اللغة السواحلية ولهجاتها المختلفة ، حتى أصبح " زنجبار " وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي كان اسم زنجبار يطلق على كل سواحل إفريقيا الشرقية وجزرها ، وليس على زنجبار الجزيرة وحدها ، كما يطلق اليوم ، والتي كانت تعرف قبل وصول العرب ، باسم " اتغوجا " التي تشكل مع جزيرة بيمبا " – كما قلنا – دولة زنجبار الحديثة.

ولا توجد معلومات دقيقة عن تاريخ بداية هجرات القمريين إلى زنجبار . ولكن توجد كتابات تدل على أن بداياتهم كانت في القرن الحادي عشر الميلادي ، وذلك أن الحسن بن سليمان بن علي بن الامير الشرازي الذي حكم " كلوه " ، وهي مدينة قديمة في اتغانقا واشتهرت بارتباطها بالهجرات الفارسية والعربية ، هرب من " كلوع " فراراً من الغارات التي كانت تشنها البانتو على حكام " كلوه " من الفرس

والعرب ، إلى زنجبار حيث كان العرب والفرس يجدون فيها الحماية ، وكان للأمير حسن أتباع كثر من القمريين الذين أصبحوا مواطنيين في " كلوه " . واستقبل في زنجبار بحفاوة من قبل المخاديمو (Wahadimu) بسبب ارتباطه وزواجه من الأميرة (Muhadimu) الشرازية ، وأصبح تباعاً حاكماً لـــــ: (Wahadimu) وموينى مكو (Mugni Mku) يعني السيد أو الملك الكبير ، أشهر أحفاده المباشرين ، كان فيما بعد حاكماً لـــ (Wahadimu) ، ثم استدعى الأمير حسن بعد فترة تمرد الغزاة ليحكم على حكام " كلوه"(64).

لا يمكن بالتحديد معرفة كيف ذهب القمريون إلى " كلوه " ، ولكننا نفترض بأن بعضاً منهم وصلوا إلى هناك على شكل موجات " عبيد " أو صيادي الأسماك من بلادهم ، التي تبعد فقط بـــ 250 ميلاً ، وأقاموا هنالك ، والتحقوا في خدمة الحكام الشيرازيين ، الذين اتحدوا مع السلاطين القمريين والزنجباريين والعرب في القرن السابع عشر الميلادي ، وتحالفوا جميعاً في جبهة عريضة لطرد البرتغاليين من ساحل شرق إفريقيا(65).

ومما يمكننا من استشفاف الوجود القوى للقمريين في " كلوه " وبصماتهم فيها قول ابن صالح (66) عام 1935م في كتابه :

" There are still living in kilwa a few comorians who are respected and regarded as the leaders of the people As an instance the present Liwali of kilwa is a comorian" .

ومفاده " أنه لا يزال يسكن هناك في " كلوه " بقية من القمريين ، يحظون باحترام ، ويعاملون كالقادة ، ويدل على ذلك أن والي " كلوه " الحالي من القمريين ".

وعندما وصل السلطان السيد سعيد بن سلطان (1806-1856م/1221ـ1273هـ) إمام مسقط وعمان ، ومؤسس سلطنة زنجبار الحديثة ، في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، إلى زنجبار (67) ، كان هناك عدد قليل حوالي المائة من القمريين من السكان الأصليين ، يرتبطون بالأعمال التجارية الصغيرة ، ويمتهنون صناعة الحبال وصيد الأسماك ، ثم بمرور الزمن أعطت الأعمال التي كان العرب يقومون بعا تأثيراً ايجابيا للقمريين ، وكان سبباً طبيعياً لهم بأن يقدروا هذه الحرف، وينخرطوا في خدمة السلطنة.

وهكذا بدأ القمريون يشكلون لأنفسهم إقامة دائمة في زنجبار حيث جاؤوا بسفنهم مع بداية موسم الرياح - كما درجوا أن يفعلوا ذلك كل مرة - وفي الأحيان يتم أسرهم وبضائعهم وقطعانهم من الماشية وعبيدهم.

وبطبيعة الحال كان القمريون الأصليون السابقون في زنجبار يرحبون بإخوانهم الجدد عند وصولهم ريثما يقررون مستقبلهم من حيث البقاء في زنجبار أو العودة إلى بلادهم مع الرياح الموسمية.

ولا نستبعد هنا اطلاقاً ما ذكره المغيري في معرض حديثه عن جزائر القمر وعرب عمان في زنجبار : " وبما أن الحروب التي قام بها سلاطين الإنجزيجة فقد كثرت مهاجرة القمريين إلى زنجبار ، إذ في عام 1899م هاجر منهم إلى زنجبار خمسة عشر ألفاً ، وإن القمريين هم أهل الطبقة العالية ، الشديدة بأوامر دينهم الإسلامي ونشر العلوم ...".

ويظهر من قول المغيري أن سبب هجرة هذه العقول القمرية ، بهذ العدد الهائل ، يعود إلى الحروب الطاحنة التي كانت تدور رحاها بين سلطنة وأخرى ، من أجل الحدود المهيمنة على المراكز الاستراتيجية المهمة كالجبال والأنهار والأراضي الزراعية وبسط النفوذ.

وممن هاجروا إلى زنجبار من جزر القمر ، واشتغلوا في التدريس الشيخ محمد عبد القادر المنصيبي ، الذي بني منارة مسجد " ملندي بزنجبار " ويعرف هذا المسجد حتى الآن " بمسجد منارة " ، ودفن أمام محرابه . ومن القمريين الشيخ فاضل بن علي بن حسن القمري ، وقام بالتدريس في مسجد " غوف " أو " جوف " (GUFU) ، قبل أن يعود إلى بلده ليموت هناك . وكان العلامة السيد عبد الرحمن بن أحمد جمل الليل ، يدرس النحو والبيان والفرائض في مسجد " فوغا " (VUGA) بزنجبار ، وقد استفاد ، من علومه ، كثير من أبناء زنجبار ، وتوفي بها ، كما كان يدرس في بعض الأحيان في المسجد ذاته العلامة السيد حسن بن محمد جمل الليل المتوفي بزنجبار.

أما الشيخ محمد بن عبد الله باوزير ، وهو من " اتسندرا مجين " بجزيرة القمر الكبرى ، فكان غالباً يدرس تفسير القرآن الكريم بمسجد " كيكوني " بزنجبار، ومات بها ودفن في مقبرة القمريين الكبيرة . وورد في ديوان أبي محمد برهان مكلا القمري ما نصه " " مرثاة في فقيد العلم والتدريس المرحوم الشيخ محمد بن عبد الله بن وزير القمري المتوفي في اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الثاني سنة 1354هـ بزنجبار:

رزء تكــدر منه اليوم أبرار	واصفر من هو – له في الدار ديار
به قد اغتم اهل العلم وارتسمت	على وجوه أولى الأبصاؤ أكدار
الله اكبر جيش العلم منهزم	في زنجبار وجيش الجهل جــرار
فكيف ولا رجال العلم أكثرهم	بالأمس كانوا هنا واليوم قد ساروا
هذا محمدنا قد كان من بيننا	شهما فذاق الردى والله قهار
وسار خلف الذين استخلفوه على	أمر الفتاوي فإن الدهر غدار
أعني الفقيه ابن عبد الله جهبذنا	نجل الوزير المنحي عنه أوزار
من مارس العلم بالتدريس وهوفتي	فراق منه مع التفسير أخبار
وعلمه قد رآه الناس من بعد	(كأنه علم في رأسه نار)

ب/التعليم في الكتاتيب:

المعلمون الرجال:

ومن القمريين الذين كانوا يدرسون في الكتاتيب بمنازلهم نذكر منهم الشيخ محمد ملمري من " متسامهولي " وتوفى ودفن بمقبرة القمريين الكبيرة بزنجبار ، وكان ابنه العلامة أحمد بن محمد ملمري يدرس الناس أيضاً في منزله ، وفي مسجد " تنغالي " ، وأحياناً في مدرسة حكومية ، وهو الذي أسس مع إخوانه القمريين " مدرسة القمر " و " الجمعية القمرية " ، وعاد إلى جزر القمر وتوفي ودفن بقرب مسجد جامع المتسامهولي.

وكان السيد أبو الحسن بن أحمد والسيد عبد الفتاح بن أحمد (المتوفي في شهر صفر سنة 1353هـ بزنجبار) ، وهما من بلدة " اتسندرا " في جزيرة القمر

الكبرى ، يعلمان الناس في المساجد والكتاتيب في زنجبار ، وتخرج عليهما عدد كبير من أبناء زنجبار .

وقال أبو محمد برهان مكلا القمري في رثاء السيد عبد الفتاح بقصيدة مطلعها :

يا عابد الفتاح أينك يا أخي   لم لا أراك وكلنا في المشهد

إن كنت بالمرض احتجبت فإنني   ما سمعت حدوثه عن مسند

حتى نعي ناعيك لي فأصابني   بالنعي حزن ياله من مكمد

المعلمات النساء:

ومن النساء القمريات اللاتي كن يدرسن القرآن الكريم ومباديء الدين الإسلامي في زنجبار هن : المعلمة عشة مفوم " من متسامهولي " بجزيرة القمر الكبرى ، والمعلومة موانزبني " من اتسندرا " ، والمعلمة موان عشة حمد ، التي درس الشيخ عبد الله صالح الفارسي عماني الأصل (1912–1982م) القرآن الكريم علي يليها ، وهو ممن تخرجوا على يد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط الذي ذكرناه ألفاً ، وكان له جهود كبيرة في الدعوة الدعوة ونشر الثقافة العربية في كينيا وشرق لإفريقيا عموماً ، وصاحب تفسير القرآن الكريم باللغة السواحلية.

التعليم النظامي الرسمي

أما القمريون الذين كانوا يدرسون في المدارس الحكومية النظامية فنذكر منهم العلامة أبو محمد برهان بن محمد مكلا القمري (68) ، وهو من أصل إكوني بجزيرة القمر الكبرى ولد سنة 1884م ونشأ في زنجبار وكان رئيساً للجمعية القمرية بزنجبار ، ومن مؤسسيها ، وعمل رئيساً لمدرسي اللغة العربية بالمدارس الحكومية في زنجبار ، كما كان يدرس في مدرسة الحكومية ، في حي " مناز موجا " " نرجيلة واحدة " ، والتي تسمى حالياً بمدرسة " بن بلا " نسبة إل الرئيس الجزائري الأسبق ، وكان شاعراً بارعاً واعتاد على قرض قصيدة أو قصيدتين في كل شهر ربيع الأول في مدح الرسول وتوفى سنة 1949م.

وكان رحمه الله إلى جانب عمله وتدريسه في مدرسة الحكومة يدرس العلوم الشرعية والعربية في مسجد " ملندي " لطلاب العلم ، بعد صلاة الفجر وصلاة العصر من كل يوم .

وله مؤلفات منها : مرشد الفتيان إلى علم البيان ، " نظم غير مطبوع " ، وكتاب الألفية الواضحة الملقبة بالجواهر المنظمة ، في النحو " مطبوع " وكتاب التمرين " مطبوع " ، ونفحة الوردة غير منهج البردة ، وتاريخ جزائر القمر " مخطوط " ، وديوان شعر في المدائح والمراثي والتهاني ، يسمى " برهانيات " في مخطوط بخط يده ، وتاريخ حياتي الثقافية(69).

ومكلا كما جاء وصفه في جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار هو ممن يستحق أن يذكر في أعلام زنجبار ، لما حازه وحواه من الفضائل ، فقد نبغ في العلوم العربية حتى لقب بسيبويه زنجبار.

وفـــي عهد السلطان السيد برغش بن سعيد 1870-1888م/1287-1306هـ ما كان عليه عهد السلطان برغش.

وكانت النخبة المثقفة من العلماء في "زنجبار" غالبيتها من القمريين – الحضارمة – الذين انتقلوا اليه ، وغني عن البيان أنهم كانوا على المذهب الشافعي، وأن الأرخبيل الذي وفدوا منه إلى زنجبار كانت ثقافياً ودينياً ، وليس سياسياً جزء امن سلطنة زنجبار.

وهكذا كانت "زنجبار" مركزاً علمياً مهماً جذبت كثيراً من طلاب العلم ومحبيه من جميع أنحاء شرق افريقيا إليها بفضل العلماءمن العرب والقمريين الذين كانوا يسيطرون على مفاصل التعليم في الجزيرة ، وعنوا باللغة العربية ونشرها ، وكانت طرق التدريس والكتب التعليمية لا تختلف عن طرق التدريس والكتب المستخدمة في العالم الاسلامي ، فكانت المدرسة – كما رأينا – هي المسجد أو بيت خاص ، وفي الغالب بيت المعلم ، وكانت أكبر مؤسسة تعليمية في الجزيرة هي مسجد "غوف" (GUFU) ، وكانت الدراسة تشبه تماماً الدرسة في بلاد "الهوسا" في شمال نيجيريا مع الاختلاف أنه في زنجبار يدرس المذهب الشافعي وفي شمال نيجيريا المذهب المالكي.

أما الكتب المستخدمة – علاوة على القرآن الكريم – هي تفسير الجلالين والاسيوطي والمحلي ، والفية بن مالك والآجرومية في قواعد اللغة العربية ، ومنهاج الطالبين للنووي والمقدمة الحضرمية وغيرها.

مجال القضاء

لقد سلطنا الضوء على بعض العلماء القمريين في زنجبار ، ودورهم في الحياة العلمية والثقافية ، ويجدر هنا أن نشير إلى أن جهود هؤلاء العلماء في خدمة الدين وانتشاره من خلال مجال القضاء كانت ايضاً واضحة وكبيرة ، حيث يمكن القول إن رجال الدين والقضاء والمتعلمين كانوا طبقة متنفذة في حكومة آل سعيد ، وحاولوا تطبيق الشريعة الإسلامية مكان القوانين العرفية ، ونشرها بين المسلمين الأفارقة.

وكان القضاء بأيديهم فالمتظلمون يعرضون مظلاماتهم أمام القاضي الذي يحكم فيها حسب الشريعة الإسلامية في الحال ، وإذا شعر المتظلم أن القاضي لم يتصفه ظلامته إلى السلطان الذي يعقد جلستين عامتين للناس يومياً ، ويبت في الحالات الجنائية ، والقتل عقوبة الإعدام ، إلا إذا قبل أهل القتيل أخذ الدية ، وقدرها حينئذٍ ثمانمائة دولار.

وكان القضاء على المذهبين الإباضي والشافعي ، وكان الحضارمة والقمريون هم الذين يتولون القضاء في المذهب الشافعي ، ويأخذون رواتبهم من الدولة ويزاولون – إلى جانب ذلك – التدريس في بيوتهم وفي المساجد.

ومن القمريين الذين اشتغلوا في سلك القضاء الشرعي بزنجبار الشيخ أحمد موسى ، وكان قاضياً في أنعوجه أكوء قبل أيام السيد سعيد بن سلطان (70) ، والشيخ محمد بن فرج الإكوني " نسبة إلى مدينة إكوني بجزيرة القمر الكبرى " كان قاضياً في " دونجة " أيام السيد سعيد بن سلطان (1856-1870م)(71). والشيخ أحمد أبوبكر المنصبي ، كان قاضياً في محكمة السلطان في عهد السلطان السيد ماجد بن سعيد 1856-1870م /1273-1287هـ ، واشتغل كذلك في العهد ذاته الشيخ أحمد بن سالم من آل أبي بكر بن سالم قاضياً في مدينة زنجبار ، وهو أخو

السيد منصب بن علي بن سلطان أحمد من أمه . والسيد منصب هذا كان عالماً من علماء زنجبار وخطيباً في الجامع الصغير في زنجبار(72).

وفـــي عهد السلطان السيد برغش بن سعيد 1870-1888م/1287-1306هـ ما كان عليه عهد السلطان برغش عمل في القضاء العلامة الورع الشيخ محمد بن أحمد الموروتي (نسبة إلى موروني عاصمة جزر القمر) ، وكان قاضياً في مدينة زنجبار ، وهو عالم سني في العلوم الاسلامية ، وترك القضاء ، وهاجر بعد ذلك إلي المدينة المنورة ، وأقام بها ، وهنالك توفاه الله تعالى بعد سنوات(73). وبعد ذلك هنالك الشيخ عبد الله بن وزير السجيني (نسبة إلى مدينة نتسجيني بجزيرة القمر الكبرى) ، وقد كان مفتياً وناظراً للحقانية والاوقاف في مدينة زنجبار في عهد السيد على بن سعيد بن سلطان 1890-1893م (1308-1311هـ) ، والشيخ عبد الله المذكور هو والد الشيخ محمد بن عبد الله بن وزير المولود في زنجبار والمتوفى بها عام 1933م ، والذي كان يعرف "بشيخ علماء السنة" في زنجبار (74).

واكثر القضاة المشهورين بين أولئك العلامة الشيخ أحمد بن أبي بكر بن سميط (1861-1925م) ، الذي عينه السلطان برغش بن سعيد قاضياً في زنجبار سنة 1300هـ/1988م ، ولكن بعد حوالي ثلاث سنوات طلب الشيخ أحمد من سلطان برغش أن يعفيه من منصبه ؛ فرفض ، مما حمله على مغادرة زنجبار ، وفي سنى 1303هـ/1885م سافر إلى اسطنبول ، وأقام بها نحو ستة أشهر ، واختص خلالها بملازمة الحبيب فضل بن علوي بن سهل ، وأتصل بالسلطان عبد الحميد الذي احتفى به ، ووظفه ، وأمن له سكناً ، وقلده النيشان المجيدي الرابع ، ثم دخل مصر والحرمين الشريفين والتقى برجال العلم والمعرفة قبل عودته إلى زنجبار. وتولى القضاة مرة ثانية في زنجبار ، وزوال هذه المهنة حوالي اربعين سنة ، وقد بلغ مكانة مرموقة بارزة في زنجبار ، وشرق افريقيا ، وكان يعتبر أحسن القضاة ، ووصلت شهرته إلى مصر والحجاز. وكان يعرف بـــ "مفتي ديار شرق إفريقيا"(75).

هذا وقد تولى ابنه العلامة عمر بن أحمد بن سميط أيضاً ، في زنجبار القضاء حيث طلب إليه السلطان زنجبار جزر القمر عام 1355م هـ ـليتولى قضاء جزيرة "بيمبا" ، فتولى القضاء فيها ثم نقله قاضياً بزنجبار سنة 1357هـ. وفي عام 1359 ترك القضاء وبقي في زنجبار داعياً ومرشداً ومعلماً إلى أن قامت الثورة عام 1964م ، غادرها إلى الشحر بحضرموت ومنها عاد إلى مسقط رأسه بجزر القمر عام 1384هـ.

أما الشيخ عبد الرحيم بن محمود الوشيلي (76) (المتوفى في شهر جمادى الآخر سنة 1355هـ (أكتوبر1936م) "بويته" في جزيرة "بمبا" ، فقد كان فقيهاً ، مما أهله للعمل قاضياً في زنجبار ، وعالماً بالنحو حتى قيل أنه هو الذي عرب كتاب مولد البرزخي بعد وصول نسخ منه غير معربه إلى زنجبار. وتم بعد ذلك مطابقة النسخة التي عربها لنسخة أخرى معربة فطابقت النسختان" ، وكان قاضياً فـي محكمة "شواكه ومككتوني" من زنجبار ، أيام السيد خليفة بن حارب بن ثويني(77).

ومدح ابو محمد برهان مكلا القمري استاذه القاضي عبد الرحيم الوشيلي القمري بمناسبة نقله من عمله قاضياً زنجبار إلى "شواكة" شرقي المدينة صيدة بث فيها لوعة وحشته لغيابه عنه خلال هذه الفترة وقال :

غيابك عن عيني حضورك في قلبي	ونجواك في بعد كلامك في قربي
ودوماً أرى معناك في دار فكرتي	واصغي لما تتلو وذاتك في غيبي
ومن والف الانسان يدري مقاله	واخلاقه لوغاب عنه بلا الريب
فإنت الذي علمتني صحبة الهدى	فلم يعترف عقلي بغيرك من
ولقياك سكري إن حسي الناس	كما أن سلوان ثناؤك في حبي
وسقط اللوى عند مقام جعله	مبثاً لذكر الرفع والخفض والنصب
وابكى لذكراه جوى مثل مابكى	بسقط اللوى الضليل مذ هام في
فيا حبذا ذاك الزمان الذي مضى	علينا بتحصيل بمسجد زي
وكنا بروض العلم نجني ثمارها	فكانت غذاءاً نافعاً مشتهى القلب
فيا نجل محمود لقد كنت مرشداً	لنا ثم وليت لقضاء لدى الشعب.

ولا زلت ذا عدل وللحق ناصراً وانصاره لا شك ينصرهم ربي
أعبد الرحيم أقبل معاني تشكري لقد أعلنت للناس مثواك من لبى
وديم أيها المفضال براً منعماً خديماً لشرع الله مغتفر الذنب

لم تقف جهود القمريين في انتشار الإسلام والثقافة العربية في زنجبار عند مجالي التعليم والقضاء ، بل شملت المجالات الاجتماعية والرياضية وغيرها وذلك من خلال القنوات الرسمية الآلية الأهلية ، حيث أسسوا رابطة لهم تعنى بالمناشط الثقافية والتعليمية والرياضية والاجتماعية ، مما كان له أثره الايجابي في التنمية الدينية والثقافية في وسط الجماعات القمرية في زنجبار خاصة والمجتمع الزنجباري بكل شرائحه واطيافه عامة.

جمعية القمريين بزنجبار

حرصاً من القمريين على المحافظة على الاخلاق الاسلامية وحماية ابناؤهم من الزوبان ، وخلق الشروط الضرورية المناسبة تمكنهم من حسن الاندماج في المجتمع الزنجباري والاسهام في حياته السياسية والثقافية والدينية وغيرها أيي القمريون عام 1911 م أول جمعية اسلامية لهم في زنجبار ، وقامت بدور عظيم في المجتمع ، وعملت بجدارة لتحسين وتطويره من الناحية التعليمية والمدنية.

ومن أهم مناشط هذه الجمعية وابرزها افتتاح المكتبة الثقافية عام 1926م والمدرسة القمرية عام 1930م ، على طريق هولز (HOLLIS) ، وفي نفس المبنى يقع مكتب الجمعية والمدرسة(78).

ويقول المغيري بشأن هذه الجمعية منوها بدورها: العلامة أحمد بن محمد القمري كان يدرس الناس في منزله ويدرس في مسجد " شنغاني" ، واحياناً في المدرسة ، وهو الذي أسس مع اخوانه مدرسة القمر والجمعية ، وأحدث انقلاباً كبيراً في ابطال العادات الضارة التي يتمسك بها القمريون في هذا البلد ، وأظهر سلاحاًعظيماً بتأسيس المدرسة القمرية ، لتعليم أولادهم اللغة العربيه والانجليزية ، ساعدتهم حكومة مدغشقر الفرنسية.

ومن نتائج هذه الجمعية تنظيم الاوقاف القمرية بزنجبار ، التي كانت قبل ظهور هذه المدرسة فوضى لا ناظر لها ولا مدير .. وأنها اشترت أيضاً قصراً عالياً بحارة مليندي كوكوني فجعلت حاصلة ينفق لمصالح المدرسة ، وأشترت كذلك بيتاً من حارة "انغامبوا" لكنه كان قديماً وسقط بالامطار ، وبقي رمه للجمعية.

وكانت حكومة زنجبار بعد قيام الثورة 1964م قد صادرت المبنى الذي يحتضن المدرسة وغيره من اوقاف القمريين ، إلا أن حكومة على حسن مويني عادت المبنى المذكور إلى القمريين منذ 6 سنوات ، وينتظرون بفارغ الصبر اعادة الممتلكات الاخرى اليهم. والمبنى العاد قديم على غرار مباني زنجبار القديمة مكون من عدة طوابق وساحة كبيرة في الجهة الخلفية للمبنى ، للعب التلامذه. ويستخدم المبنى الآن بعد اعادته ' إلى أهالى "انجزيجة" (القمريين من جزيرة القمر الكبرى) مدرسة للأولاد يدرسون فيها اللغات السواحلية والانجليزية والفرنسية. توجد على الباب الرئيسي لوحة مكتوب عليها باللغة السواحلية "Wakf ya wangazija (وقف أهالي انجزيجة).

هذا إلى جانب اسهامات القمريين وحضورهم الفاعل في الحياة السياسية والادارية والعسكرية في خدمة المجتمع الزنجبارى والدول السعيدية بيد أن المقام لا يتحمل تناول مثل هذه الجوانب. على أننا نكتفي هنا بتلخيص ماذكرناه آنفاً بما أورده بن صالح في كتابه بهذا الشأن: مهما يكن فإنه يحزننا بأن السجلات الحديثة في زنجبار كلها أو جزء منها يفتقد إلى الحقيقة أو الدقة ، لأن القمريين لعبوا دوراً مؤثراً واقعاً في كل مكان منذ قيام الدولة السعيدية في زنجبار ، حيث كانوا محل ثقة ولهم الفصل ويخدمون باخلاص للسلاطين المتواليين على الحكم. ويتبع مواطنوا زنجبار المذهب السني الشافعي وكذلك القمريين ، والعرب العمانيون في الجانب آخر هم إياضيون في ذلك الوقت. والقمريون هم قراء للقران الكريم ، ومن الأوائل الذين نشروا العقيدة الاسلامية بواسطة السلطان. وبعد وفاة السلطان السيد سعيد فإن مجموعة من القمريين حملوا عبء الوظائف ذات المسؤولية في خدمة السلطنة ،

كانوا القضاة ، ووزراء الاقاليم أو الولاة ، وأعضاء المحاكم ، وكبار الضباط في الجيش والشرطة وكذلك في سلاح البحرية التابع للسطان(79).

ويخلص ابن صالح إلى القول:

(on the religious side the comorians were also now lagging behind, whether as kadhis, kuran teachers, imams mosques (in which line they are still predominating even to that day) or as religios leaders of the Shafii sect. they have done the best to help in the propagation of the muslim faith)(80)

الترجمة إلى العربية:

في الجانب الديني لم يكن القمريون متخلفين بل اصبح منهم قضاة ومعلمي القرآن ، وأئمة مساجد ، وبجانب ذلك التحقوا بكل جوانب الحياة المختلفة ، ولا زالوا يغطون أكثر فأكثر إلى يومنا هذا في مجال القيادة الدينية في المذهب الشافعي، وقد قاموا بواجبهم على الوجه الأكمل في رعاية الإسلام والدعوة الاسلامية.

ولا ننسى هنا ونحن بصدد الحديث عن جهود القمريين في "زنجبار" أن ننوه بأن العاصمة التنزانية دار السلام تحتضن في قلبها اليوم جامعاً كبيراً يعرف بمسجد اهالي انجزيجة (مسجد القمريين من جزيرة القمر الكبرى ، وتم توسعته وتجديده حديثاً بنفقة محسنيين خليجيين ، ومازال القمريين المقيمون بدار السلام ، التزانيون من ذوي الاصول القمرية يترددون إليه لأداء الصلوات الخمس ، يجتمعون فيه ليلة الجمعة بعد المغرب لتلاوة جماعية للاذكار.

في لامو بكينيا:

هذه المدينة كلها تسهم بشكل كبير في انتشار الاسلام والثقافة العربية في شرق افريقيا ، وهي امتداد مقدر لجهود القمريين الذين هاجروا إلى "لامو" للدعوة ونشر الثقافة العربية ، وفي مقدمتهم الحبيب صالح بن علوي جمل الليل ، مؤسس مسجد "الرياض" الذي كان ومازال صرح اشعاع إسلامي وقنديلاً ثقافياً في هذه المنطقة الحيوية من العالم ،والذي يقول فيه الاستاذ مبارك بن سالم بن حرز: "فإذا اعترف العالم بفضل جامعة المدينة التي "ابتدعها" معلم الانسانية محمد صلى الله

عليه وسلم ، فإننا ابناء شرق افريقيا نعتز ونفتخر بهذا المسجد". وتقول جريدة المدينة المنورة السعودية في السياق نفسه: " على بعد مئات وآلاف الأميال في جوار شرق افريقيا وبالتحديد في مدينة "لامو" كينيا حيث مقر مسجد الرياض توجد جامعة ومنارة للإسلام".

في جزيرة مدغشقر:

وتجدر الاشارة إلى ان عاصمة مدغشقر "تاناناريف" تحتضن ، هي الأخرى، في حي "املامويستي" ، مسجداً للقمريين بإسم "جامع القمريين" زاره الشيخ العبودي عام 1978م ، وهو الذي تذكره عندما وجد "مسجد القمريين" في "موزمبيق". وربما لو زار الشيخ أيضاً مسجد القمريين بدار السلام ، عاصمة "تنزانيا" الذي سبق ذكره لكان اعجابه أكثر وأشد.

هذا وقد توزعت جهود القمريين في انتشار الاسلام والثقافة العربية والاسلامية في جميع مناطق الجزيرة حسب اماكن تواجدهم قلة وكثرة ، وبنوا المساجد وأقاموا المدارس والكتاتيب لتعليم القرآن الكريم والعلوم الاسلامية. ونجد على سبيل المثال – في مدينة "ماجنغا" التي كان يسكن فيها قبل وقوع الكارثة حوالي 25 الف مسلم قمري من أصل 95 الفاً من سكان المدينة ، ثلاثين مسجداً ، ونحو عشر مدارس اسلامية ، وأكثرية المسلمين في تلك المدينة كانوا من جزر القمر ، بالإضافة إلى جالية عربية يمنية وهندية .

وكان الشيخ سيد عبد الله بافقيه ، استاذ في الفقه واللغة العربية ، هو الذي يتولى التدريس والتوجيه والارشاد في المدينة ، ويعنيه في ذلك القاضي سيد محمد شريف ماهر (من نتسجين). وتخرج على يد الشيخ بافقيه عدد كبير منهم الشيخ المشهور مزي موين (من إكوني) الذي عاش داعياً ومرشداً في الجزيرة ، وشيخاً للطريقة القادرية بها ، والشيخ عبد الرحيم صالح في "ديغو" ومعالي الشيخ أحمد صالح (من جزيرة مايوت). والذي كان وزيراً للعدل والشؤون الاسلامية في جزر القمر عام 1995م في عهد الرئيس سعيد محمد جوهر.

وفي مدينة "ديغو" كان يوجد بها 15 مسجداً ، وعدة مدارس إسلامية ، يتولى التدريس فيها القمريون بل هم المؤسسون لها ، وأطلق الشيخ هادي أحمد الهدار ، مستشار الثقافي لرئيس جزر القمر ، ومبعوث رابطة العالم الإسلامي ، أثناء زيارته للجزيرة عام 1973م 8 مدارس أسسها القمريين في مدغشقر.

وفي العاصمة "تاناريف" كان الشيخ عبد الصمد بن عيدروس المولود جزيرة القمر الكبرى عام 1929م ، إماماً وخطيباً ومدرساً بمساجدها ، إلى جانب جولاته الدعوية الكثيرة في مدن وقرى "الجزيرة الكبيرة" قبل أن يعود إلى مسقط رأسه ، وكان الشيخ عبد المجيب بن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن (من مبيني) خير معين في هذه الجهود المقدرة التي كان له أثرها الواضح في هداية الناس ونشر العلم والوعي.

ونجد الامام الذي كان في "تماتاف" والشيخ مصطفى محمد شيخ (من سندرا-مجين) ، وكان يعينه في القيام بمهمة الإمامة والتوعية والتعليم الشيخ مباي (من مبيني). بينما كان الشيخ محي الدين بن عبد الرحمن مبامبا ، وهو الأخ الصغير للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بـــ "مصحف" (من مبيني) ، والشيخ "مي ذر" بن مدوهوما (من نتسجين) يتولان بالشؤون الإسلامية ، من حيث التعليم والخطابة ونشر التوعية لدى سكان مدينة "توليار" من القمريين وغيرهم. وكان الشيخ "لي ذر" هو رئيس المسلمين القمريين في هذه المدينة ، كما كان نائب قائد الشرطة السيد مصباح عبده وهو مسلم قمري (من هاهايا) بجزيرة القمر الكبري.

وذكر لنا الاستاذ محمد معروف حاج ، مؤسس مدرسة الثقافة الإسلامية أن سيدة مدغشقرية من قبيلة "ميرنا" وهي القبيلة الكبرى ذات النفوذ والمكانة وصاحبة اللغة "الملغاشية ، كانت تطلب الأدعية من القمريين.

ومن الجدير بالذكر أنه تكون في عام 1974م ، مجلس إسلامي في مدغشقر مقره مدينة "ماجنقا" وكان معظم القائمين عليه من القمريين ،إلا أن الكارثة التي حلت بالقمريين ، في "ماجنغا" عام 1976م ، قضت على معظم الجهود الدعوية والمناشط الاسلامية التي كان يقوم بها القمريون ، في الجزيرة ومنها

المجلس الاسلامي المذكور ، حيث سافر كثير من القمريين ومن بينهم أعضاء المجلس عائدين إلى جزر القمر ، بلادهم الأصلية.

هذا بعض جهود القمريين في انتشار الإسلام وخدمته في مدغشقر ، وهي جهود مقدرة متواصلة ، بقيت بصماتها الواضحة ، إلى يومنا هذا ، يلمسها عن كثب كل من زار هذه الجزيرة الكبيرة. ولعل تلك الجهود هي التي فجرت غضب الملغاشيين ضد القمريين ، وجعلتهم يشعرون بالغبن حسداً من عند انفسهم بأن بلادهم كانت في ظل الاستعمار ومازالت في ايدي القمريين الاجانب. بل ثمة من صرح بالقول" "أن القمريين اصبحوا مستعمرين لمدن تحولت إلى مدن اسلامية قمرية ، مثل ماجنغا وديغو في الشمال وتماتاف وتتاناريف وغيرها في كل من الشمال والشرقوالجنوب والوسط". ونتجت عن ذلك بالتالي المذبحة الوحشية التي ارتكبت ضدهم ، إلا أنهم فهموا السبب ، وقديماً قيل إذا علم السبب بطل العجب!.

وكانت موزمبيق من دول المنطقة التي عرف القمريون ، وهم -كما رأينا- مولعون بالسفر والترحال ، الهجرة إليها للدعوة إلى الله تعالى ونشر الإسلام ، أو حركات تجارية ، وقد يكون وصولهم إليها للصدفة نتيجة هبوب الرياح والعواصف الشديدة التي عادة ماتؤدي بمراكب الصيد وبواخر التجارة إلى غير وجهتها "تجري الرياح بما لا تشتهي السفن".

في موزمبيق:

وكانت للقمريين في "موزمبيق" – كعادتهم اينما حلوا واقاموا – جهودهم وكثرة اسهاماتهم المميزة ليس في الحفاظ على هويتهم الإسلامية وتقاليدهم الوطنية بل وفي نشر عقيدتهم ودينهم وثقافتهم في هذه البلاد وسط شعبه ، في إطار هامش الحرية المتاحة لهم.

ونذكر من هؤلاء القمريين الشيخ عيسى بن أحمد المسوجيني ، الذي كان عالماً الشريعة الإسلامية ، وشيخاً للطريقة القادرية ، تلقي علومه في جزر القمر وزنجبار ، وسافر إلى موزمبيق ، وأقام بها مرشداً وداعياً إلى الله تعالى حتى اسلم على يديه ، من وثني الزنوج ومنتصريهم ، ثم رجع إلى زنجبار ، بعد ما اعتلت صحته ، ومات بها عام 1344م(81).

والعلامة الورع الشيخ أحمد امروازي ، وهو عالم باللغة العربية والشريعة الاسلامية ، عني بنشر الدعوة الاسلامية في "موزمبيق" . ومما يذكر له ضمن جهوده الدعوية أنه دعا أهل بلدة (انغوجي) إلى الدين الاسلامي فأجابوا دعوته ، واعتنقوا الاسلام وجرى على يديه هذا الخير العظيم ، وصارت له هذه المنقبة العظيمة ، التي على فضله واستقامته ، وصلاح سريرته ، واخلاصه لدينه . وأقام الشيخ بهذه إلى أن وافته المنية بها رحمة الله تعالى رحمة واسعة.

وتتبلور -علاوة على ما سلف بيانه - جهود القمريين "بموزمبيق" في انشاء المدارس الاسلامية (الكتاتيب) لقراءة القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي ، وفي المساجد التي كانت - إلى جانب كونها أماكن لأداء الصلاة - مراكز حيوية لنشر الثقافة الاسلامية والثقافة العربية.

ونشير في هذا السياق - كدليل حي ومعلم بارز على تلك الجهود - إلى "مسجد مبيني" في العاصمة "مابوتو" ، والذي زاره "ابن بطوطة العصر "الشيخ محمد ناصر وقال عنه" "واسم هذا المسجد الذي زارته اليوم (المسجد القمري) ، وتصور شاعرية هذه اللفظة قبل أن تعرف معناها ؛ ومن انفراداته أنه كتب فيه لوحة تبين تاريخ عمارته إلى اللغة العربية من أهل المساجد الأخرى الذين كتبوا حتى اللوحات التي تبين اوقات الصلوات باللغة البرتغالية. وتقول اللوحة المذكورة بالحرف الواحد: (هذا المسجد القمري في تاريخ الليلياة الجمعة 11 ربيع الأولى سنة 1355هـ)(82).

وكانت بجانب هذا المسجد الذي تحيط به أرض تابعة له ي مساحة واسعة، توجد مدرسة إسلامية ، يؤمها طلباً للعلم والمعرفة ، المئات من ابناء السكان القمريين من مسلمي "موزمبيق" إلا أنها متعطلة عن أداء رسالتها لعدم وجود المدرسين.

وذلك – على مايبدو – بسبب موت أكثر القمريين الذين بنوا هذا المسجد ، وكانوا يديرونه ، هو ومرافقه ، التي منها تلك المدرسة ، وعودة بعضهم إلى بلادهم.

هذا ومسجد القمريين المذكور لم يزل موجوداً ، ويعرف حالياً بمسجد القادرية " نسبة إلى الطريقة القادرية ، التي كان للقمريين الفضل في دخولها إلى موزمبيق. كما يوجد في "مابوتو" مسجد آخر بناه القمريون يسمى "مسجد اتفاق" ، بأن القمريون في "موزمبيق" يحظون ب'حترام وتقدير ، من قبل المواطنين ، الذين كانوا ينظرون إليهم بأنهم منظمون ، وذو أخلاق عالية ، لدرجة أن ذكركلمة القمر حتى الآن في المجتمع الموزمبيقي يعني العظمة والسمو ، وكان السكان يعرف السكان القمريين بإسم "وجوجو" يعني الذين جاءوا من جزر القمر .

ومما لا شك فيه أن هذه الجهود المخلصة للقمرين في "موزمبيق" لم تكن هي في الساحة الدعوية ، بل تضافرت وتضامنت مع الجهود الطيبة الأخرى ، قام بها المسلمون الآخرون – عرباً وافارقه –في نشر الدعوة الاسلامية ، والثقافة العربية في هذه البلاد التي غرقت – حتى الأذن – في سيل جارف ، من المعتقدات المحلية المتمثلة في عبادة الاسلاف والارواح وغيرها ، من الطقوس المنافية للعقيدة الاسلامية الوسطية السمحاء. هذا ناهيك عن سياسة البطش والتنكيل ومخططات التنصير ، التي شهدتها هذه الدول وعانى منها الأمرين شعبها ، في ظل الاحتلال البرتغالي الحاقد

ونخلص بعد هذا القول أن الجهود الدعوية المختلفة الأوجه ، والمتنوعة الجوانب ، التي بذلها أهل جزر القمر ، في بلدان الساحل الشرقي الافريقي ، التي تاجروا إليها سواء التي ذكرناها في هذه الدراسة والتي لم نذكرها خشية الإطالة والاسهاب كانت لها آثارها الايجابية الفعالة في استمرار تدفق المد الإسلامي في هذه الدول ، وانتشار ثقافة وتعمق تعاليمه وترسيخ قيمه وسلوكياته ، وأسهمت في صياغة الهوية الاسلامية والاجتماعية والثقافية لشعوبها ، التي كانت ولا تزال تعتز بإنتمائها إلى هذا الدين ، وتعض عليه بالنواجذ رغم كل التحديات الداخلية والخارجية المتشعبة ، ما أكثرها !.

المصادر والمراجع

1/هول ريتشارد ، امبراطوريات الرياح الموسمية ، ترجمة كامل يوسف حسين ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، أبو ظبي ، 1999م ، خاصة ص ص 59-70.

2/عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الرابع ، بيروت : ط1 ، 1996م ، ص30.

3/د.مصطفى الزباخ ، الحضارة الإسلامية في جزر القمر ، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ، ايسيسكو ، 1995م ، ص ص 16-17.

4/Moore , W.G the penguin Encyclopedia of Places penguin , london , 1971 , p.186.

5/موسوعة المعلومات : مكتب الآفاق المتحدة ، الرياض ، ط1 ، 1991م ، ص320.

6/محمد محمود ربيع واسماعيل صبري مقلد ، موسوعة العلوم السياسية ، جامعة الكويت ، الكويت ، 1994م ، ص1399.

7/Brian Hunter ; op. cit. p.437.

8/المؤتمر الأول للتضامن الدولي من أجل تنمية جزر القمر : التقرير الرئيس للتنمية وآفاقها ، المجلد الأول ، موروني ، أغسطس ، 1983م ، ص8.

9/Brian Hunter . op .cit p.437.

10/كينت ، ر.ك : مدغشقر وجزر المحيط الهندي ، في أوغوث ، ب.أ (محرر) : تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الخامس ، إفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر – اليونسكو ، بيروت ، 1991م ، ص977.

11/Brian Hunter ; States man . s year book ; 131 Edition Briain . 1994 .p.439.

12/المسعودي ، أبو الحسن علي بن حسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج1 القاهرة ، 1945م ، ص97.

13/رجب محمد عبد الحليم ، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين ، مسقط ، 1989م ، ص ص 266-227.

14/ هول ريتشارد ، المرجع السابق ، ص ص 59-70.

15/هي جزيرة أنجوان وقيل جزيرة مدغشقر وقيل زنجبار (راجع جيان : وثائق تاريخية وجغرافية تجارية عن شرق إفريقيا ، القاهرة : 1937م ، ص93.

أو :

Reinaud , Relation des voyages faits par Arabes persans en Inde et en chino T1 pp 131-133.

16/الغنيمي عبد الفتاح مقلد ، ص223-224.

17/المسعودي ، المصدر السابق ، ص98 .

18/المصدر نفسه ، ص108 .

19/الغاني ، عبد الرحمن ، عمان في العصور الإسلامية الأولى ، بغداد ، 1977، ص 88.

20/محمد مكلا القمري ، تاريخ جزائر القمر مخطوطة غير منشورة ، ص4 .

21/شوقي عطا الله الجمل ، وعبد الله عبد الرازق إبراهيم ، تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر ، القاهرة ، 1988م ، ص16 ، وكذلك .

Cpupland . R: East Africa and its Invaders , Oxford 1938 , p.15.

22/الداو (dhow) سفينة ذات شراع واحد حمولتها نحو من مائة وخمسين طناً إلى مائتين طن وطولها نحو خمسة وثمانين قدماً ، وعرضها عشرون قدماً ، وعمقها أحد عشر قدماً ، وهذا النوع من السفن كان يصنع في كوشين (cochin)، على ساحل المليار إلى عهد قريب ، وتستعمل في البحر العربي ، كما كانت تستخدم بسواحل شرقي إفريقية في تجارة العبيد ، وكذلك استخدمت الداوات في نقل السلع والبضائع والمسافرين (انظر شوقي عبد القوي عثمان ، مرجع سابق ، ص14-148. وكذلك ، درويش النخلي ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، الاسكندرية ، 1979م ، ص45).

23/Virmani k.k ; Marks of India swahili culture . Africa Quarterly , vol. XXII, No.1 , 1982 , p.54.

24/محمد الحويري ، ساحل شرقي إفريقية منذ فجر التاريخ حتى الغزو البرتغالي، القاهرة ، 1986م ، ص41.

25/Defremery .C.ET Sanguinetti . B.R. , Voyages dIbn Battuta , T.2 , paris , 1968 , p.193.

26/Defremery .C.ET Sanguinetti . B.R. , op.cit . Tom2 , p.p. 193-194..

27/Newitt. M., The comoro Islands in Indian Ocean trade before the century ; op . cit , p.144.

28/تمثل المبادلات التجارية بين ضفتي قناة موزمبيق إحدى أجزاء الشبكة التجارية الاقليمية التي تتضح من خلال التقارير البرتغالية المبكرة ، إذ تشير إلى صناعات القماش المتخصصة في جزيرة كويريمبا (Querimba) أمام ساحل موزمبيق ، ومصنوعات من النخيل في مافيا وأنجوش (Angoche) على ساحل موزمبيق أيضاً كان يستخرج اللؤلؤ والكهرمان ودرك السلاحف Newitt. M., The comoro Islands in Indian Ocean trade before the century ; op . cit , p.143.

29/ايزوافيلو ماندروزو .ف : مدغشقر والجزر المجاورة ، من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ، بحث في تاريخ إفريقية العام ، المجلد الرابع ، إفريقية من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ، اليونسكو ، بيروت ، 1991م ، ص602.

30/نتيجة لاستقرار جاليات مسامة نشأت مدن إسلامية على الجانب الشمالي الغربي لمدغشقر مثل فوهيمار (Vohemar) ، ولانجان (Langan) ، وسادا (Sada) ، وأماكن أخرى(أنظر:

Newitt. M., The comoro Islands, struggle against dependency in Indian Ocean , p.15.
31/Newitt. M., The comoro Islands in Indian Ocean trade before the19th century, p.144.
32/ Newitt. M., The comoro Islands, struggle against dependency in Indian Ocean , p.16.
33/Ajuas , Louis ; Notes historiques et ethnographiques sur les comores I, Bulletin de Lacademie Malgache , 9(1911), pp.130-132.
34/مواليمو (Mwalim , or Moualimou) ، أي الملجم أو الكاهن ، وهو الشخص الذي يقوم بأعمال السحر والتنجيم أو الكهانة ، بقراءة الغيب ، أو الطالع والاتصال بالعالم الخفي والغيبي ومعالجة العلل عن طريق الأرواح.

(أنظر:)
Francoise Le Guennec – Coppens ; Parkin David (eds) ; Autorite et cheik Mwanaesh (Eds): Therapies traditionnelles aux comores , Cahier scientifique et humain , 29 (4) , 1993 , pp. 769 – 770 ; and Fontoynon . M, et Raomandahy , E : opCit , , pp. 22-23).

35/Fontoynont.M. , ET Raomandahy . E : op.cit . pp.22-23.

36/ايزوافيلو ماندروزو زف : مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص602.

37/المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج1 ، ص122-123 .

38/Nevile , Chittick : Shiraz Colonization of East Africa in Fag . J.D and Oliver .R (Eds) : papers in African pre-History , Cambridge , Cambridge University Press 1970 , p.257.

39/Blanchy , Sophie : Architecture et Espaces Sociaux a Ngazida ; in peyras , Jean ;Les Monuments et La Memoire , Cahiers Crlh – CIRAOI , No. 8, 1993 , p.34.

40/ستودارد لوثروب : حضر العالم الإسلامي ، تعليق الأمير شكيب ارسلان ، المجلد الثالث ، القاهرة ، 1352هـ ، ص142.

41/Duplantier , Nicolas ; La Grande Comoro ; Sa Colonisation , Rvue coloniale , Paris , 1903 , V.3 . P.395.

42/ستودارد لوثروب : مرجع سابق ، المجلد الثالث ، ص181.

43/سعيد المغيري : مرجع سابق ، ص303 .

44/علي حسني ، جزر القمر والعرب عبر التأريخ ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1993م ، ص31 .

45/ليلى محمد مصطفى ، جزر القمر دولة إسلامية عربية إفريقيا ، ط1 ، دار الشعب ، القاهرة ، 2001م ، ص28 .

46/حاجي عبد الله عبد الحميد ، التطور السياسي في جزر القمر ، معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية ، موروني ، 1985م ، ص ص2-5 .

47/نشرة : المكتب التجاري لجزر القمر بالشارقة ، 1994م ، ص5 .

48/د.مصطفى الزباخ ، المرجع السابق ، ص29 .

49/تجدر الإشارة إلى أن أمير هذه المنطقة " بيجلومبا " هو الذي رافق " متسواموينزا " أمير منطقة " مبودي " إلى الحجاز ورجعا منه بالإسلام .

50/Ali Mohamed , Monuments de La civilisation Islamique aux comores puplication de L`organisation Islamique pour L`education et La culture – Isesco 2000 , p.25-36.

51/الجوهرة عبد اللطيف ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسلطنة زنجبار خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1856-1894) الرياض ، ط1 العبيكان للطباعة والنشر ، 1993 ، ص55

52/Robert Laffont ; Les memoires de Lafrique des origines a nos Jours . P.342 .

53/شوقي عطا الله الجمل ، وعبد الله عبد الرازق ابراهيم ، تأريخ إفريقية الحديث والمعاصر ، القاهرة ، 1998م ، ص16 .

54/محمود الحويري ، ساحل شرق إفريقية منذ فجر التأريخ حتى الغزو البرتغالي، القاهرة : 1986م ، ص41 .

55/Newitt. M., The comoro Islands in Indian Ocean trade before the19th century, p.144.

56/سنبرتر منجهام ، الإسلام في شرق إفريقيا (ترجمة محمد عاطف النواوي) القاهرة : ط1 ، الطبعة الأولى ، 1973م ، ص36 .

57/المرجع السابق ، ص22 .

58/الشيخ أحمد بن عبد الله السقاف العلوي ، خدمة العشيرة بترتيب وتزييل شمس الظهيرة ، جاكرتا أندونسيا ، 1964م.

59/الحاج ربيع محمد القمر ، انتشار الإسلام في بلاجد البجة وآثاره ، رسالة دكتوارة ، مقدمة لكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ، 1419هـ ، ص96 .

60/حراز سيد رجب ، الاستعمار الأوربي لأفريقية الشرقية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1968م ، ص2 .

61/الجنيد ، ص19-20 .

62/أبو عجل ، ص130 .

63/راجع : عمان في التاريخ : (مجموعة باحثين) ، دار أمبيل للنشر – لندن – 1995م والمؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقيا (للدكتور إبراهيم الزين صغيرون) ، جامعة السلطان قابوس ، مسقط وأضواء على جوانب التأثير الحضاري العماني في شرق إفريقيا ، (للدكتور عبد الفتاح حسن أبو عيلة) ، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض وصلات عمان بشرق إفريقيا في العصور الحديثة ، (للدكتورة سني محمد الطائي) ، اتحاد المؤرخين العرب – بغداد.

64/ IBUNI Saleh . A Short History of the Comorians in Zanzibar . 1936) printed by Tanganyika Standard . Dar es Salaam p.p5-6.

65/IBUNI Saleh op .cit p.6

66/هو قمري الأصل ولد في زنجبار ، وتعين وزيراً بلا حقيبة في أول حكومة شكلت عام 1963م بعد حصول زنجبار على الاستقلال واطاح بها عبيد كرومي ، عام 1964م ، وكان من أعضاء هذه الحكومة أيضاً قمري آخر اسمه مولد مشنغاما أسندت إليه حقيبة التربية ، مقابلة مع الشيخ محمد إدريس بمركزه للتراث الإسلامي في زنجبار ، في مارس 2005م.

67/نقل السلطان سعيد بن سلطان عاصمة الدولة من مسقط إلى زنجبار عام 1832م (1248هـ) واستقر نهائياً عام 1840م (1256هـ) في زنجبار.

68/مكلا هو اسم جده مكلا بن آدم وليس لقباً أجاب الشيخ محمد ادريس القمري الزنجباري (الذي جدته لأم المسماة ثواب بنت آدم هي أخت مكلا بن آدم) أجاب الباحث بذلك عندما سأله عن سبب التسمية بـ "مكلا" حيث انه اسم لبلدة في اليمن، أما أحمد برهان مكلا (أحد ابناء برهان مكلا) فأفاد في إجابته على السؤال بأن سبب التسمية يعود إلى كثرة السفر إلى مكلا في اليمن للتجارة. وعلى كل حال فإن هذا الاسم شائع ومعروف في الأرخبيل القمري ، وينطق ويكتب هكذا " مكيلي (M`kele).

69/وصل مؤلفاته إلى 8 كتب ووقف الباحث خلال زيارته لزنجبار ، من أجل هذه الدراسة ، على جميعها عند حفيده على محمد برهان مكلا بدار السلام ، والشيخ محمد محمد ادريس بزنجبار ، ما عدا "تأريخ حياتي الثقافية " وقد يكون مفقوداً.

70/مكلا . تاريخ جزائر القمر ، ص23.

71/IBUNI Saleh .op cit .p.11

72/مكلا ، تاريخ جزائر القمر ، ص23 .

73/المصدر نفسه ص 23-24 و IBUNI Saleh .op cit .p.11.

74/مكلا ، تاريخ جزائر القمر ، ص24 و IBUNI Saleh .op cit .p.11

75/ IBUNI Saleh .op cit .p.11

76/الوشيلي : نسبة إلى منطقة وشيل بجزيرة القمر الكبرى.

77/مكلا . تاريخ جزائر القمر ، ص24 .

78/ IBUNI Saleh .op cit .p.18

79/Ibid p.p 9-10.

80/Ibid p.11.

81/المكلا . تاريخ جزائر القمر ، ص65 .

82/المصدر نفسه ، ص326 .